المحافظون الجدد والمستقبل الأمريكي

بقلم: الدكتور عبد العزيز كامل
باحث وأكاديمي مصري

المصدر : التقرير الإستراتيجي السنوي لمجلة البيان السعودية
عام ٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

لمواجهة التحدي الأمريكي لابد من فهم عميق للظواهر المختلفة للولايات المتحدة أولاً، وهذه الدراسة القيمة من الدراسات التي تحاول تسليط الضوء على تيار المحافظين الجدد الحاكم في أمريكا الآن ، وهي منشورة في التقرير الإستراتيجي السنوي الثاني لعام ٢٠٠٤ التابع لمجلة البيان السعودية.

الفصل الثالث

المحافظون الجدد والمستقبل الأمريكي

الدكتـــور

عبد العزيز كامل

كاتب وأكاديمي مصري

المحافظون الجدد والمستقبل الأمريكي

د. عبد العزيز كامل

تظهر بين الحين والآخر أسماء جديدة لمشروعات أو أطروحات أو تيارات فكرية جديدة، تظل الأوساط المعنية مهتمة بالتنقيب عنها والبحث عن خلفياتها وأصل فكرتها ومسيرة نشاطها وطبيعة برامجها؛ لفترة طويلة من الزمن، ثم لا تلبث تلك الأسماء أن يخبو بريقها ويخف زخمها، ويكاد الناس يشعرون بالملل والسآمة من ترددادها وتكرارها؛ مع أن الصورة حول حقيقتها وطبيعتها لم تكتمل، والمواقف والسياسات تجاهها لم تتبلور.

ولعل من تلك المسميات التي لمعت في سماء الأحداث منذ فترة ليست بالبعيدة: (المحافظون الجدد)، حيث برزت تلك التسمية إعلامياً بعد الانتخابات الأمريكية لعام ٢٠٠٠م، ثم لمعت أكثر بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، لتفرض نفسها بعد ذلك مع تفاعل الحرب العالمية على ما يُسمّيه الأمريكيون بـ (الإرهاب)، وأصبحت أسماء رموز المحافظين الجدد تلحّ على الأسماع قبل وأثناء وبعد الحرب على العراق عام ٢٠٠٣م، وذلك من خلال تصريحات ومقالات ومؤلفات الشخصيات النافذة منهم؛ حول المبادئ والمبادرات والمشروعات الحالية والمستقبلية لهم.

وأسجل هنا: أنه، وبعد كل ذلك الضجيج الإعلامي حول مسمّى (المحافظين الجدد)؛ فإن الجزء الأكبر من الحقيقة حولهم لا يزال ملتبساً، حتى على كثير من النخب الفكرية، حيث يجري الخلط بينهم وبين قوى أخرى متنفذة في المجتمع الأمريكي؛ مثل: اللوبي الصهيوني، واليمين الديني، والمسيحية الصهيونية، وصقور الجمهوريين. ولهذا فإن الحاجة ملحّة لإعادة جمع أوراق هذا الملف لترتيبها وفهمها، ومن ثَمَّ الوصول إلى كيفية مناسبة للتعامل معها، ومن أجل هذه الأهداف، كلها أو جُلها، جاءت هذه الدراسة.

المحافظون الجدد.. التعريف والنشأة:

تسمية (المحافظين الجدد) جاءت في مقابل: المحافظين التقليديين القدامى، والمحافظة هي مدرسة فكرية ذات عدة أطياف في السياسة الأمريكية، بعضها معتدل، وبعضها الآخر متطرف، والمحافظون الجدد يقفون على أقصى يمين الحركة المحافظة. وفي حين يقدِّر المحافظون التقليديون التقاليد بشكل كبير؛ فإن المحافظين الجدد يرون أن المنطق هو الشكل الصحيح والوحيد للتفكير.

فالتيار المحافظ التقليدي بدأ منذ زمن، وحكم أمريكا بالفعل، وكان يُطلق عليه (تيار ولسن) نسبة إلى الرئيس الأمريكي الأسبق (وودر ويلسون) الذي كان يؤمن بأن ما يُسمّى بـ (القيم الديمقراطية) تحتاج إلى قوة قادرة على فرضها ونشرها، والضرب بقوة على يد من يقف ضدها في أي مكان من العالم؛ باعتبار أن أمريكا لا يمكن أن تعيش آمنة وديمقراطية ومتمتعة بالرخاء الاقتصادي إلا إذا كان العالم آمناً وديمقراطياً، ولكن هذا التيار عاد بقوة في عهد الرئيس الجمهوري الأسبق (رونالد ريغان) الذي استمر حكمه لثماني سنوات في مدتين

رئاسيتين (١٩٨١ - ١٩٨٩م)، وقد برزت في عهد ريغان ملامح توجهات المحافظة الجديدة؛ مثل: تفضيل اللجوء إلى القوة، والمثابرة على ذلك لتحقيق الأهداف الكبرى، عقائدية كانت أو سياسية أو اقتصادية، وقد ترجم ذلك بالفعل في سلوكه منحىً استراتيجياً متصلباً تجاه الاتحاد السوفييتي السابق؛ من خلال ما عُرف ببرنامج (حرب النجوم)(١) الذي أجبر ذلك الاتحاد في النهاية على الركوع والتسليم بالهزيمة أمام الولايات المتحدة الأمريكية، وانتهت بذلك الحرب الباردة نهاية نصر بلا حرب.

الفارق الأساس بين المحافظين الجدد والمحافظين الجمهوريين التقليديين؛ يكمن في أن المحافظين التقليديين يتمسكون بفكرة تقليل أمريكا من الانغماس في الشؤون العالمية، والتخلي عن طموحات الهيمنة على العالم؛ لدرجة أن بعضهم اقترح أن تنسحب أمريكا من حلف الناتو، وتستعيض عنه في حماية أمنها بمشروع الدرع الصاروخي. بينما يتميز المحافظون الجدد بالنزوع إلى الانهماك في السياسات الخارجية، ويميلون إلى عدم التقيد بقيود السلطة التشريعية ممثلة في مجلسَي النواب والشيوخ.

تبلور تيار المحافظين الجدد في حقبة السبعينيات الريغانية على شكل مجموعات تتسم بالاستماتة في العداء للمعسكر الشرقي، والإيمان العميق بالتفوق الأمريكي الغربي. وللمفارقة الغريبة؛ فإن ذلك التوجُّه قد بدأ على يد مجموعة كانوا من اليساريين والليبراليين المنشقين على الحزب الديمقراطي، من أمثال (أرفنغ كريستول) و(نورمان بودرهورتز) و(ميج ديكتر)، وغيرهم من عشرات النشطين الذين تستروا بيهوديتهم خلف ما يُسمّى بـ (القيم الأمريكية)، وأرادوا أن يقيموا العالم عليها، أو بالأحرى يحكموا العالم باسمها. إننا نرى ظل اليهودية في روحها الاستعلائية والاستعدائية تُخيِّم على الطروحات النظرية والتطبيقات العملية للمحافظين الجدد، وهذه دعوى تحتاج إلى إثبات، وأحسب أن هذا البحث يقدم هذا الإثبات.

المحافظون الجدد واليهود:

بعض الأوساط الإعلامية في الولايات المتحدة ترادف بين المحافظين الجدد و (اليهود من المحافظين)، والأمر لا ينطوي على أي قدر من المبالغة، فالمحافظون الجدد - كما يعرِّفهم (يوري أفنيري) الكاتب الإسرائيلي ذي الاتجاه العمالي العلماني -: هم مجموعة كل أعضائها تقريباً من اليهود. وهم يؤيدون (إسرائيل) إلى درجة يمكن اعتبارهم معها إسرائيليين يحملون الجنسية الأمريكية، أو أمريكيين يحملون الجنسية الإسرائيلية، وهم في رأيه ورأي بنيامين بن أليعازر متطرفون أكثر من شارون نفسه(٢)، وتعود معظم الأصول العائلية لرموز المحافظين الجدد إلى دول أوروبا الشرقية.

وأصل الفلسفة التي ينتمي إليها المحافظون الجدد؛ أسسها ونظَّر لها اليهودي الألماني «ليوشتراوس» الذي

---

(١) «حرب النجوم»: برنامج عسكري، كان الهدف منه إحباط أي هجوم قد تتعرض له الولايات المتحدة أو إحدى حليفاتها بالصواريخ البالستية، وجاء هذا البرنامج ضمن خطة كاملة وضعها ريغان لإجهاد الاتحاد السوفييتي في سباق تسلح، أدت بالفعل إلى إضعافه ثم تفككه.

(٢) دورية كتلة السلام الآن Cuch shalom، (٨/ ٤/ ٢٠٠٣م).

انتقلت فلسفته بما يشبه الخاصة الشعرية عبر تلاميذ يهود، لتصل إلى شريحة من الوسط الأمريكي، و«شتراوس» المولود عام ١٨٩٩م في مقاطعة هيس الألمانية؛ غادر ألمانيا إلى إنجلترا مع وصول هتلر للسلطة وتعقبه لليهود، ثم لم يلبث «شتراوس» أن غادر بريطانيا إلى فرنسا، ثم غادرها في عام ١٩٣٨م إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أقام في نيويورك، ودرَّس في معهد للبحوث الاجتماعية بها، ثم استقر ذلك المهاجر الألماني اليهودي في شيكاغو، ودرَّس في جامعتها، وأسس هناك (رابطة الفكر الاجتماعي) التي بدأ «شتراوس» نشاطها بمائة من طلبة الدكتوراه الذين تتلمذوا على يده ثم حملوا فلسفته، وقد أصبحت هذه الرابطة فيما بعد نواة لمذهب فكري يعرف بـ(الشتراوسية)، ويقوم على خدمته ونشره سبعة وسبعين من تلامذة وأتباع «شتراوس»؛ أغلبهم من اليهود(١).

لكن رجوع النشأة الفلسفية للمحافظين الجدد إلى «ليو شتراوس»؛ لايعني أن يقال إن أفكار المحيطين منهم بإدارة جورج بوش الابن تنحصر فيما نظَّر له «شتراوس» ومجموعة الـ(٧٧) التابعين له، فهؤلاء المحافظون الجدد جعلوا من أفكار فيلسوفهم اليهودي قواعد تُبنى عليها المفاهيم السياسية؛ مضيفين إليها أفكاراً أخرى من مدارس أخرى، كوَّنت في النهاية مذهباً فكرياً أكثر منه توجُّهاً سياسياً.

وبشكل عام؛ فهناك نقطتان يلتقي عندهما مذهب «شتراوس»:

أولاهما: يقينه بأن الديمقراطية لا تستطيع فرض نفسها إذا بقيت ضعيفة وعاجزة عن مواجهة الطغيان، وقد استنتج هذه الفكرة من تجربة شخصية تتعلق بالموقف من أحداث (جمهورية فايمار)(٢)، وكان «شتراوس» يرى أن تلك الجمهورية برغم ضعفها؛ قد مرَّت بلحظة قوة وعظمة عندما ردت رداً عنيفاً على اغتيال وزير الخارجية اليهودي (والتر راتينو) في عام ١٩٢٣م، لقد انتقد ضعف الجمهورية، ولكنه أشاد في الوقت نفسه بموقف القسوة والرد العنيف فقال: «لقد كانت الجمهورية في مجملها عبارة عن عدالة من دون قوة، أو عدالة عاجزة عن اللجوء للقوة»، فمساندة القوة للعدالة - في مفهومه - هي المبدأ الأول والفكرة الأولى.

أما الفكرة الثانية: التي ترسخت عند «شتراوس»، وقام عليها بالتالي مذهب المحافظين الجدد؛ فهي أن أي موقف رافض للقيم التي تقوم عليها الديمقراطية يعد رفضاً للفضيلة، ولذلك فإن هناك - في رأيه - فكراً يمثل الفضيلة، وفكراً مناهضاً لها لن يكون أبداً إلا رذيلة، ومثَّل لذلك بالفكر الشيوعي، وبناءً على ذلك قسَّم الأنظمة إلى أنظمة جيدة وأخرى سيئة، وهو ما تولَّد عنه بعد ذلك مصطلح (محور الشر) المناهض للتوجُّه الديمقراطي؛ في مقابل (محور الخير) الذي يمثِّله الفكر الغربي الديمقراطي. ولم يكتف «شتراوس» بتلك القسمة

---

(١) مجلة التجديد العربي، (١٢ ديسمبر ٢٠٠٣م).

(٢) «جمهورية فايمار»: هي الجمهورية التي تم تشكليها في ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وقد نشأت ضعفية وغير مستقرة، فاستغل الزعيم الألماني هتلر هذه الأحداث، وأسس الحزب الاشتراكي الوطني (نازي) وحاول القيام بانقلاب للسيطرة على ألمانيا، ولكن الانقلاب فشل، وسجن هتلر، وبعد خروجه استأنف العمل ضد حكومة فايمار وضد اليهود الذين نسب إليهم كل مصائب ألمانيا، وقد عاصر شتراوس هذه الأحداث في شبابه، وشهد اغتيال وزير الخارجية اليهودي وعجز جمهورية فايمار بين ضربات الشيوعية والنازية؛ مع أنها تتبنى الخط الديمقراطي.

الهوائية المنزع؛ بل رأىٰ أن من حق (أنظمة الحكم الصالح) - بل من واجبها - أن تواجه (الأنظمة السيئة)، وقد قاس أتباع «شتراوس» التاريخ الأمريكي والأوروبي بهذا المقياس، ونظروا إليه من ذلك المنظور، فقد رأوا أن «شتراوس» كان معجباً مثلاً بالإمبراطورية البريطانية كنظام؛ لأنها فرضت هيبتها بالقوة والضم والسيطرة، وكان معجباً علىٰ وجه الخصوص بشخصية الزعيم البريطاني (ونستون تشرشل)؛ باعتباره زعيماً يمثل رجل الدولة ذي الإرادة الصلبة.

وعلىٰ هاتين الركيزتين يقوم فكر المحافظين الجدد، وعليهما يقيمون تحالفهم مع اليمين الإنجيلي.

المحافظون الجدد.. والأصوليون الإنجيليون:

لا ينبغي الخلط بين اتجاه المحافظين الجدد، واتجاه المسيحية الصهيونية الإنجيلية، فالإنجيليون آتون من الولايات الجنوبية الأمريكية التي ينضوي أهلها تحت وصف (الحزام التوراتي)، والذين يمثلهم اليوم الاتجاه اليميني الديني المسيحي المتصاعد النفوذ بين صفوف الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة الأمريكية، أما المحافظون الجدد أصحاب الأغلبية اليهودية؛ فهم تيار قادم من الجانب الشرقي للولايات المتحدة، ومن كاليفورنيا، وغالبيتهم من ولاية نيويورك، المعقل الرئيس لليهود في أمريكا.

وكلا الاتجاهين (قوىٰ اليمين المسيحي، واليمين اليهودي) يمثلان الأغلبية في الإدارة الأمريكية الحاكمة في عهد جورج بوش الابن، وقد فتح بوش باب التعاون بينهما، وتوثق التنسيق في عهده بين المحافظين الجدد اليهود، والأصوليين الإنجيليين النصارىٰ.

فارق مهم آخر بين المحافظين الجدد والأصوليين الإنجيليين، وهو: أن الأصوليين الإنجيليين - من واقع وصفهم بالأصولية - يتوجهون إلىٰ الأصول الدينية النصرانية، فهم متدينون عقديون؛ بخلاف المحافظين الجدد الذين لا يُحسبون - ولا يحبون أن يُحسبوا - علىٰ التيار الديني اليهودي العقدي، فهم ليسوا متدينين تقليديين، ولا يُحبِّذون الظهور بمظهر المتدينين اليهود، ولكنهم يحبون أن يجمعوا بين صفتي: الفيلسوف والاستراتيجي، مع نزعتهم النقدية للمحافظين التقليديين في الولايات المتحدة؛ من أمثال جورج بوش الأب وهنري كيسنجر، وهم يرفضون أيضاً طروحات المحافظين السياسيين في أوروبا.

ومع أن جذور المحافظين الجدد تعود إلىٰ الحزب الديمقراطي؛ إلا أنهم تخلوا عن مبادئ هذا الحزب منذ الستينيات، وينتقدون بشدة النماذج النمطية من الزعماء الديمقراطيين من أمثال جيمي كارتر وبيل كلينتون؛ علىٰ اعتبار أنهم أصحاب سياسات (ساذجة) تروم نشر الديمقراطية في العالم عن طريق المؤسسات الدولية وبالطرق الدبلوماسية.

(الأصوليون الإنجيليون) أو (قوىٰ اليمين الديني) أو (تيار الصهيونية المسيحية)؛ هم جناح جورج بوش من المعمدانيين الجنوبيين، وهؤلاء يؤمنون بأن تجمُّع اليهود في فلسطين هو أكبر علامات عودة المسيح التي ستأتي بالخلاص للعالم، وقد سيطر اتجاههم علىٰ الحزب الجمهوري منذ انتخابات عام ٢٠٠٠م. وهم الذين أصعدوا

بوش إلىٰ السلطة، ويمثلون الآن عصب القوة الحاكمة في أمريكا. أما (المحافظون الجدد) الذين اخترقوا ذلك العصب؛ فمع أنهم الأقلية الأقل بين سائر يهود أمريكا؛ فإن ثقلهم يفوق عددهم في التأثير في السياسات الأمريكية - وبخاصة الخارجية -، هذا بالرغم من أن جورج بوش لا يدين بفوزه في الرئاسة لهم ولا لغيرهم من اليهود، فهو لم يحصل إلا علىٰ ١ ٪ فقط من أصوات اليهود الأمريكيين، ومع ذلك فهذه الأقلية هي التي تتحكم الآن في مصداقية بوش عند الشعب الأمريكي؛ لأنها تُسيِّر سياساته وتوجّهاته، ومن ثَمَّ فإن بقاءه داخل البيت الأبيض أو عدم بقائه سيرتهن بهم.

ونستطيع أن نقول هنا أيضاً إن الولايات المتحدة الأمريكية تقع الآن بين استقطابين متنافسين علىٰ زعامتها وقيادتها، ومن ثَمَّ علىٰ زعامة العالم وقيادته، وهذان المتنافسان ليسا هما الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي كما هو ظاهر؛ ولكن التنافس الحقيقي هنا هو بين القوىٰ المسيحية والقوىٰ اليهودية؛ بما تحمل كل منهما من أطياف وأهداف وشبكات وطبقات.

ولكن الشيء المقلق هنا؛ هو أن القوىٰ اليهودية - المتفاعلة أكثر، وبشكل تقليدي، مع الحزب الديمقراطي منذ القدم - هي التي يخترق فصيل منها الآن الحزب الجمهوري المحافظ تحت اسم (المحافظين الجدد)، وعلىٰ هذا فالولايات المتحدة - ومن ثَمَّ العالم - يكاد يُحكم بسياسات وتوجّهات وأهداف اليهود القريبة والبعيدة، وقد ضمن اليهود بهذا وجوداً مهماً في كلا الحزبين المتعاقبين علىٰ السلطة في الولايات المتحدة، فسواء مالت الكفة هنا أو مالت هناك؛ فهم ذوو ثقل في الكفتين(١)، وهذا ما يؤكد الاعتقاد بأن وراء التحالف المشبوه بين الصهيونيتين المسيحية واليهودية؛ أَكَمَة تخفي أبعاداً من العداء بينهما، لا يؤخر ظهورها إلا المصالح المشتركة أو العداوة المشتركة، وهذان الأمران يجتمعان بشكل مثير في العالم الإسلامي الذي يمثل عدوّاً حضارياً مشتركاً، وساحة للمصالح المشتركة في الوقت نفسه.

ومن القواسم المشتركة بين تياري المحافظين الجدد واليمين المسيحي الديني؛ تقديم الدعم غير المحدود للكيان الصهيوني في إسرائيل بخلفيات توراتية متوافقة، ليس هذا مجال شرحها.

الأفكار والمبادئ والمواقف:

تسبب الاستبعاد المتعمد للجيل الثاني من تلامذة «شتراوس» في الجامعات والمعاهد العلمية الأمريكية؛ في انصراف هؤلاء إلىٰ المزيد من الانخراط في العمل الفكري والإعلام؛ من خلال (مجموعات التفكير) التي كانوا ينشطون فيها، حتىٰ أصبح لهم وجود متصاعد في الساحة الفكرية، ظهر أثره بقوة أثناء فترة الفراغ الفكري التي تلت انتهاء الحرب الباردة، حيث انبرىٰ أتباع «شتراوس» إلىٰ طرح أو تبني أفكار تسد هذا الفراغ؛ مثل أطروحة (نهاية التاريخ) لفرانسيس فوكوياما الذي يُعَدُّ من الرموز البارزة للمحافظين الجدد، ونظرية (صراع الحضارات) لصموئيل هنتنجتون.

---

(١) بالمناسبة؛ فقد اكتشف جون كيري، المرشح الديمقراطي أمام جورج بوش ومنافسه القوي، أن جده (فريدريك كيري) كان يهودياً نمساوياً، ثم اعتنق المذهب الكاثوليكي مع أسرته قبل أن يهاجر إلىٰ الولايات المتحدة عام ١٩٠١م، حيث غيّر اسم عائلته من (كوهين) إلىٰ كيري!

وقد رأىٰ هؤلاء المحافظون الجدد في سقوط الاتحاد السوفييتي وانهيار سور برلين برهنة علىٰ صحة طروحاتهم؛ بدليل أن سياسة ريغان القوية تجاه الاتحاد السوفييتي هي التي أدت إلىٰ سقوطه.

ولما وقعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ وجد هؤلاء المحافظون فيها فرصة لجمع أفكارهم كلها في حزمة واحدة ليفاجئوا بها العالم؛ لا علىٰ أنها نظريات تُناقش، بل مشروعات تُطلق وسياسات تُتبع وقرارات تُنفذ، وانبرىٰ مفكروهم لإعلان القول بأن الديمقراطيات الضعيفة لن تجدي شيئاً في مواجهة الطغيان، فلا بد للديمقراطية أن تكون لها أنياب ومخالب! ووجد المحافظون الجدد في الساحة الأفغانية والعراقية مجالاً تطبيقياً كاملاً لأفكارهم؛ دلَّلوا به علىٰ أن التصدي لما يرونه قيماً فاسدة وأنظمة سيئة؛ أمر ممكن في ظل ديمقراطية الأنياب والمخالب، ودلَّلوا به علىٰ أن الاحتكام إلىٰ القوانين الدولية - مهما كانت عدالتها - لن يكفي للضغط والإقناع.

ولاستكمال خلفيات الأفكار والمبادئ والنظريات التي «يبشِّر» بها المحافظون الجدد؛ فلا بد من إيضاح مواقفهم من عدد من القضايا الهامة، وذلك على النحو التالي:

١ - الدين والفلسفة:

ترىٰ المدرسة (الشتراوسية)؛ أن الدين يجب أن يبقىٰ من دعائم المجتمع ومؤسساته، وباعتبار «شتراوس» يهودياً علمانياً؛ فقد كان يرىٰ أن الأديان - برغم إنكاره لها - عاملاً مهماً لملء فراغ الشعوب بما يساعد علىٰ فرض النظام.

ويضفي «شتراوس» علىٰ الديمقراطية المستندة للقوة صفة القداسة الدينية، وقد أخذ المحافظون الجدد عنه ذلك، وخاصة إذا كانت تلك الديمقراطية (مقاتلة) تقف في وجه الطغيان - كما يقولون -، وبالرغم من أغلبيتهم اليهودية؛ فإن المحافظين الجدد يضفون مسحة مسيحية علىٰ طروحاتهم الفكرية؛ بإعطائها بُعداً تبشيرياً عالمياً.

إن هناك تساؤلاً يثور في هذا الصدد؛ وهو: هل كان «شتراوس» (الألماني) داعية إلىٰ أمركة العالم، وهو الألماني المنشأ واليهودي الديانة؟!.. إن «شتراوس» لم يكتب عن الأمركة، ولم يدع إلىٰ ريادة أمريكا للعالم، ولكن كتاباته حول تأييد قوة المنطق بمنطق القوة؛ جعل تلاميذه من الأمريكيين يُكثرون من الكتابة حول فرض الفلسفة الأمريكية أو ما يسمونه (القيم الأمريكية) بالقوة المطلقة. ولأن «المحافظين الجدد» كلهم من الأمريكيين وجلهم من اليهود؛ فقد صعب عليهم أن يتحدثوا باسم اليهودية في مجتمع علماني ذي أغلبية نصرانية، ولذلك جعلوا من الديمقراطية ديناً مشتركاً، وقيمة متفقاً عليها، غير مستبعدين الدين من حيث هو عقيدة وقيم من ساحة التأثير.

آراء «شتراوس» المشار إليها آنفاً في ضرورة الإبقاء علىٰ القيم الدينية للمجتمع الأمريكي؛ لا تنبع من احترامه لها، ولكن لقناعته بأن الدين في أمريكا أو في غيرها؛ هو الذي يمكن أن يوجِّه الجماهير ويجعلها تحت السيطرة؛ بخلاف العلمانية التي تُخرج الجماهير عن إطار السيطرة، ولذلك فإنه يقول: «المجتمع العلماني هو

أسوأ الأشياء الممكنة؛ لأنه يقود إلىٰ الفردية، كما أن الليبراليية تقود إلىٰ المعارضة، وكلا الأمرين يُضعفان قدرة الدولة علىٰ التعامل مع التهديدات الخارجية».

إننا نرىٰ المسحة الدينية العامة واضحة علىٰ الشعارات الفكرية و السياسية للمحافظين الجدد، فهم يتحدثون عن أن الحرية الأمريكية هي (خطة الله للإنسانية)، ويصفون أمريكا بأنها (إمبراطورية الرحمة)، ويعدُّون تعزيز القيم الديمقراطية (استجابة لابتهالات الشعوب)، ويقولون عن «الويلسنية» - نسبة إلىٰ الرئيس الأسبق ويلسن - إنها (رسالة الأمة الخالدة)، وإذا كان المؤسس الأول لفكر المحافظين الجدد «ليوشتراوس» يتصف بالإلحاد - حقيقةً أو ادعاءً -؛ فإن الرواد النشطين من تلامذته وعلىٰ رأسهم (إيرفنغ كريستول) كانوا أكثر وضوحاً في موقفهم من الدين كموجِّه أساس لحركة الشعوب. فهو يقول في هذا الصدد: «إن فصل الدين عن الدولة هو أكبر خطأ ارتكبه مؤسسو الجمهورية الأمريكية»، ويرىٰ (ما يكل لادين) أن الدين شيء مهم للمشاريع العسكرية، ويعلل ذلك بقوله: «إن الرجال لايجازفون بأرواحهم؛ إلا إذا اعتقدوا أنهم سوف يُكافؤون بحياة أبدية مقابل تضحيتهم بحياتهم».

هل أثَّر الدين أيضاً في البناء العضوي والحركي لتيار المحافظين الجدد؟! ربما. فالمحافظون الجدد ينظرون إلىٰ أنفسهم نظرة تميز واصطفاء؛ معتبرين أنفسهم حملة رسالة مهمة في التاريخ، وقد كتب «جيم لوب» - أحد منتقدي المحافظين الجدد - مقالاً بعنوان (سلالة المحافظين الجدد)، نُشر في مارس ٢٠٠٣م، قال فيه: «المحافظون الجدد ليسوا حركة جماهيرية، بل هم عشيرة صغيرة متماسكة، يتزاوجون، ويتواصلون داخل عملهم في الإدارة الأمريكية وخارجها، وقد استطاعوا بفعل التنسيق بينهم أن يسيطروا علىٰ جزء كبير من السياسة الخارجية؛ خصوصاً كل ما له علاقة بالشرق الأوسط والعرب وإسرائيل».

هذا عن موقفهم من الدين، أما عن موقفهم من الفلسفة؛ فإن شعارات القوة والمجد التي يُغرم بها المحافظون الجدد، ويريدون أن يجعلوا الدين خادماً لها؛ هي نفسها التي تحدد موقفهم من الفلسفة، فالمحافظون الجدد - وتبعاً لأستاذهم «ليوشتراوس» - يرون ضرورة طبع المجتمع بالأفكار الفلسفية الخادمة لحب الهيمنة، فشعار «شتراوس» الفلسفي بـ «ضرورة القوة في تطبيق الأفكار» هو أحد أنماط التوجُّه الفلسفي لهم.

لقد كان معروفاً عن «شتراوس» تعمُّقه في دراسة الفلسفة القديمة، ولكنه يرىٰ أن فلاسفة ما قبل الحداثة[1] كانوا غير قادرين علىٰ التعبير عن آرائهم بحرية بسبب الاضطهاد، فكتاباتهم كانت تتضمن معاني خفية،

(١) الحداثة (مودرنيزم): منظومة ثقافية وفكرية، تمثلها تلك الخطابات والمقولات والمبادئ التي ظهرت من نهاية القرن التاسع عشر وحتىٰ يومنا هذا. وعلىٰ هذا؛ فإن الحداثة كمنظومة كبرىٰ في الثقافة والأدب والشعر؛ سيطرت علىٰ القرن العشرين بكامله. أما مصطلح (ما قبل الحداثة) فالمقصود منه: الحركات التي مهدت للحداثة المعاصرة قبل منتصف القرن التاسع عشر، وبعده بقليل، وقد يطلق عليها الحداثة الأولية، أو البدائية. وأما مصطلح (ما بعد الحداثة) فالمقصود به: حركات الحداثة الجديدة التي نشأت بعد منتصف القرن العشرين، وهي تمثل إعادة إنتاج الحداثة بعد نقدها، ويطلق عليها: الحداثة الجديدة أو المتأخرة، فحركات ما بعد الحداثة لا تتعارض مع الحداثة، بل تمثل صياغة جديدة لها، وفكر الحداثة وما بعد الحداثة؛ يعتمد علىٰ «تحرير» الفكر الإنساني من طغيان «المقدّس» و «المتسامي» كما يقولون، ويؤكد أن الأولوية لمفاهيم العقل والحرية والفردية.

ولذلك فالحاجة ـ كما يرىٰ ـ ملحّة لإعادة فَهْم أفكار هؤلاء الفلاسفة الكلاسيكيين، وقد اعتبر «شتراوس» نفسه الوحيد القادر علىٰ فهم الأفكار والمعاني الغامضة في فلسفتهم، ومن ثَمَّ فله القدرة علىٰ وضع تصورات لتطبيقها في الواقع المعاصر. ويتهم «شتراوس» الفلاسفة المعاصرين بأنهم مسخوا المعرفة عندما ذللوها للناس العاديين، فقللوا بذلك من هيبة الفلسفة. ولأن (الشتراوسيين) يقدّسون الفلسفة المأخوذة عن رائدهم «شتراوس»؛ فإنهم يقدّسون القوة التي يرون ألا سبيل لتطبيق هذه الفلسفة إلا بها، فالقوة ـ والقوة فقط ـ هي السبيل الأمثل لفرض القيم الفلسفية المنتخبة، حيث لا تسامح أبداً ولا تساهل في تمكين (الرعاع) و (السوقة) و(الجهال) لفرض آرائهم عن طريق السياسة أو القوة، فالسلطة شيء ضار جداً عندما تسقط في أيدي غير الحكماء، وهي شيء عظيم جداً وجوهري عندما يحتكرها ـ نعم يحتكرها ـ الفلاسفة والحكماء وأتباعهم، ولهذا فإن المحافظة علىٰ تلك القوة لا تقل ضرورة عن القفز إليها والوصول إلىٰ كراسيها. وفي سبيل ذلك؛ فإن الكذب والخداع والتضليل تبدو أموراً مهمة إذا كانت سبيلاً للمحافظة علىٰ السلطة.

إن علىٰ «الخاصة» ـ في نظر المحافظين الجدد ـ أن يقودوا، وعلىٰ «العامة» أن ينقادوا، فقد صرح أستاذهم «شتراوس» بأن الذين يصلحون للقيادة عليهم أن يقودوا، فذلك حق طبيعي لهم، بل هو واجب عليهم، ولا ينبغي الالتفات عن ذلك باسم الأخلاق؛ لأن حق القوي أن يحكم الضعيف، ولو اقتضىٰ ذلك أن تدوم «عملية الخداع المستمر» من قِبَل الحكام الأقوياء.

إن الفلسفة (الشتراوسية) ـ علىٰ هذا ـ تسوّغ للخداع والتضليل؛ بزعم أن الجموع لا ينبغي إعلامها بالحقيقة؛ لأن فهم الحقيقة هو مسؤولية النخبة الحاكمة، أما الجماهير والجموع فلا ينبغي إعلامهم إلا بما يريد الحكام لهم أن يعلموه. ويعلق (ما يكل لادين) المحافظ الجديد المشهور علىٰ الحاجة للتضليل بقوله: «من أجل أن ننجز أنبل الإنجازات؛ يمكن أن يقبل قادتنا أو يُجبرون علىٰ الكذب وفعل الشر»![(١)]

ويذكر هنا؛ أن أتباع «شتراوس» من المحافظين الجدد يعتقدون أن فلسفة ما قبل الحداثة هي أفضل من فلسفة ما بعد الحداثة، ولذلك يمكن أن يقال إن (الشتراوسيين) هم ضد الحداثة، ولكن ذلك ليس باسم الدين أو التقاليد، ولكن باسم المنطق والفلسفة، ففهمهم للمنطق والفلسفة مختلف عن فهم منطق وفلسفة ما يُسمّىٰ بعصر التنوير.

٢ ـ المحافظون الجدد والقومية والوطنية:

«الأمن القومي» مصطلح له وهج خاص لدىٰ المحافظين الجدد، والقومية التي يؤمنون بضرورة تأمينها، هي القومية الأمريكية في الوطن الأمريكي؛ باعتباره ملاذاً للأقوياء ومحضناً للقوة؛ لدرجة أن بعضهم يطلق

---

(١) يُذكر في هذا الصدد أن الإعلام الأمريكي كشف في أعقاب الحرب علىٰ أفغانستان؛ أن البنتاجون أنشأ إدارة إعلامية مهمتها: (التأثير الاستراتيجي علىٰ الرأي العام الخارجي)، وذلك لصالح الحرب الأمريكية علىٰ الإرهاب، وكشفت التفاصيل الإعلامية عن أن هذه الإدارة أعطيت الحق في اللجوء إلىٰ كل أساليب الخداع والتضليل؛ من أجل إقناع الرأي العام بوجهة النظر الأمريكية.

على الولايات المتحدة وصف (دولة الأمن القومي)، وقد أخذ زعيمهم «شتراوس» عن (هوبز)[1] أن الجنس البشري شرير بطبعه وفردي، ولهذا لا بد أن (يُحكم)، وحكمه أو التحكم في زمامه لا بد أن يراعى فيه محاربة النزعة الشريرة عن طريق الدين والقومية والوطنية، ولهذا كتب «شتراوس»: «إن حكم الناس لا يمكن إقامته إلا حينما يتّحدوا، ولن يتّحدوا إلا إذا وُضعوا في مواجهة قوم آخرين». إن هذا الكلام يعني ببساطة عند المحافظين الجدد أن الأمريكيين كأمة بحاجة دائماً إلى عدو يجتمعون ضده، وتشحذ هممهم في مواجهته، حتى يستمر تسعير المشاعر القومية والوطنية لديهم، ولعل هذا ما يفسر المسارعة إلى تركيز العداوة وتشخيصها بعد سقوط المعسكر الشرقي الشيوعي؛ في الإسلام والعالم الإسلامي، وبخاصة بعد الأطروحة المتبناة من المحافظين الجدد، والمعروفة بـ(صراع الحضارات) لصموئيل هنتنجتون.

أما «الوطنية» عندهم فهي خليط من العنصرية والدين والمصلحة، يقول (إيرفنغ كريستول) أبرز مؤسسي تيار المحافظين الجدد في مقال له بعنوان (قناعة المحافظين الجدد): «إن الوطنية هي شعور طبيعي وصحي، ويجب أن يُشجع من قِبَل كل المؤسسات الخاصة والعامة، فنحن أمة من المهاجرين، ولا بد أن يكون بيننا شعور قوي بأننا أمريكيون».

ويدخل في الولوع بالقومية الأمريكية؛ ما يتردد في أوساط المحافظين الجدد بتعابير مختلفة عن فكرة (اللا أمريكانية) ـ على طريقة (اللاسامية) ـ، فإذا كانت (اللاسامية) تعني اضطهاد اليهود أو كراهيتهم؛ فإن (اللا أمريكانية) هي كراهية أمريكا. وفي حين أن (اللاسامية)؛ يطلقها اليهود ليدفعوا بها كل من يعارض سياستهم الصهيونية العنصرية متهمين إياه بالتحيز ضد السامية؛ فإن (اللا أمريكانية) يُراد لها أن ترفع شعاراً رافضاً لكل معارضة لتفرد أمريكا وهيمنتها وسيطرتها.

٣ ـ المحافظون الجدد وقضايا الحروب والتسليح:

لخص الرمز الكبير في المحافظين الجدد (مايكل لادين) موقف مجموعته من قضايا الحرب والسلام بعبارة مختصرة قال فيها: «الأمريكيون يعتقدون أن السلام أمر طبيعي. . هذا ليس صحيحاً، الحياة ليست هكذا، السلام شيء غير طبيعي»!! وهذه الروح الحربية عند المحافظين الجدد تعكس نفسية، قبل أن تعكس خبرة أو رؤية استراتيجية؛ بدليل أن أكثر ـ إن لم يكن كل ـ المحافظين الجدد، هم من غير العسكريين أو المحاربين، ولعل من المفارقات المثيرة للضحك هنا؛ أن المحافظين الجدد يُطلق عليهم في بعض الأوساط (حزب الحرب)؛ بينما يصفهم آخرون بأنهم (صقور من دجاج)! لأن غالبيتهم من غير العسكريين مع شدة اهتمامهم بقضايا الحروب!

كان من الطبيعي أن يُغرم أتباع «شتراوس» بالقوة ويولعون باستعمالها انسجاماً مع أفكاره ومبادئه، وبسبب

(١) توماس هوبز: فيلسوف إنجليزي ولد عام ١٥٨٨م، وكان مدرساً للملك شارل الثاني، وكتابه (لوياثان) ـ أي الأخطبوط ـ يشرح فيه أهمية أن تهيمن الدولة على كل الأمور؛ مع بطء في الحركة، وقسوة في القبضة، توفي عام ١٦٧٩م، وقد تحولت الولايات المتحدة في عهد ريغان إلى سياسة ومبادئ هوبز الذي يرى أن القوانين إذا لم تخدم القوة فلن يكون لها معنى على الإطلاق.

هذا فقد كانوا حانقين على بيل كلينتون؛ لأنه لم يملأ (فراغ القوة) في سنواته الثماني بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، ولهذا لم ينتظروا انتهاء رئاسته؛ حتى صاغوا مشروع (القرن الأمريكي الجديد) ليملؤوا هذا الفراغ. ومشاريع الحرب التي يقترحها ويبشر بها المحافظون الجدد بإلحاح مستمر؛ ينظِّر لها ويخطِّط لتنفيذها مدنيون من أصحاب المزاج الحربي، فالحرب في نظر المحافظين الجدد ـ وكما يقول قائلهم (إيليوت كوهين) ـ هي أخطر من أن يخطط لها العسكريون!

هذه معادلة مثيرة.. مدنيون يخططون للحروب العسكرية، ويعتبرون أن العسكريين ليسوا إلا أداة (فنية) لتنفيذها؛ شأنهم شأن الدبابات والطائرات وكاسحات الألغام. أما مشعلو تلك الحروب والمبشرون بلهيبها؛ فلا ينبغي أن يكونوا إلا مدنيين أو ـ بالأحرى ـ يهوداً مفكرين! ولأن الرموز البارزة من المحافظين الجدد هم من المدنيين الشاغلين لأخطر المناصب العسكرية في وزارة الدفاع الأمريكية؛ فعلى الناس أن يُسلِّموا بتلك الحقائق اليهودية الجديدة: محاربون بلا رتب عسكرية يعشقون الحرب، وفي الوقت نفسه لا يطيقون رائحة الدخان رغم ولوعهم بإشعاله فيما حولهم، ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [**المائدة**: ٦٤].

لقد بدأ بعض الأمريكيين ينتبهون لهذا الخطر اليهودي على بلادهم، فاليهود الذين لا يزيد عددهم في الولايات المتحدة الأمريكية عن ٩,٥ ملايين؛ توجِّه أقلية منهم ـ وهم عصابة المحافظين الجدد ـ سياسة أمريكا الخارجية والعسكرية، وقد حدا هذا بالبعض ـ مثل الكاتب (باترك بوشانون) ـ أن يصرخ متهماً ومحذراً: «إننا نوجِّه الاتهام لعصبة من المنظِّرين والمسؤولين الرسميين الذين يسعون لتوريط بلادنا في سلسلة من الحروب ليست في مصلحة أمريكا، إننا نتهمهم بالتواطؤ مع إسرائيل لإشعال هذه الحروب، ونتهمهم بأنهم استنفروا الأصدقاء والأعداء ضدنا من خلال غطرستهم وتعطشهم للحروب، لم يحدث في تاريخ أمريكا أن تم عزلها عن أصدقائها القدامى، والأسوأ من هذا؛ أن الرئيس جورج بوش يتم استدراجه إلى فخ بواسطة طعم وضعه له هؤلاء المحافظون الجدد؛ الأمر الذي قد يكلفه خسارة منصبه، وكذلك يُفقد أمريكا سنوات من السلام الذي حققته خلال الحرب الباردة»(١).

ولكن هذه الصرخات تذهب أدراج الرياح، ويمضي المحافظون الجدد في التخطيط للحروب؛ لا على ساحة الحرب الأمنية ضد ما يُسمَّى بالإرهاب فقط، بل على درب حرب عسكرية عالمية ثالثة، وهو ما بدأ يتردد علناً في الأوساط الرسمية الأمريكية، قال «جميس ولسي» ـ المدير السابق للمخابرات المركزية الأمريكية ـ في محاضرة له بجامعة كاليفورنيا: «إن الولايات المتحدة مشغولة في خوض (حرب عالمية ثالثة) سوف تستمر لفترة أطول مما كانت عليه الحرب العالمية الأولى، أو الحرب العالمية الثانية، ولكن نرجو ألا تستغرق من الوقت ما استغرقته الحرب الباردة»، و «جيمس ولسي» يحاكي في التعبير عما يجري اليوم بـ (الحرب العالمية الثالثة)؛ المحافظ الجديد «نورمان بود هورتز» رئيس تحرير مجلة (إنكاونتر)، حيث إنه أول من دعا إلى تغيير الأنظمة غير

(١) مجلة (المحافظون الأمريكان) The American canservative، ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٣م.

الموالية لأمريكا من خلال (حرب عالمية ثالثة)!

٤ ـ المحافظون الجدد والموقف من قضايا (الإرهاب):

يعتبر المحافظون الجدد الحرب علىٰ ما يُسمّىٰ بـ (الإرهاب) من القضايا التي تخصهم هدفاً ووسيلة، فهم يتصدون ويتصدرون في وجه أي شكل من أشكال المواجهة للجبروت الأمريكي والإسرائيلي، ويستغلونه في الوقت نفسه لتصعيد المواجهات وتسعير الحروب، فبعد تسعة أيام فقط من أحداث سبتمبر ٢٠٠١م بعث وليام كريستول، ابن مؤسس تجمع المحافظين الجدد، خطاباً إلىٰ جورج بوش، جاء فيه: «لا يكفي تحطيم شبكات الإرهاب في أفغانستان، بل من الضروري إسقاط نظام صدَّام حسين، والقصاص من سوريا، وإيران، وحزب الله في لبنان»، وقد نشرت صحيفة (ويكلي ستاندرد) مقتطفات من نص الرسالة، وكان والده المؤسس (إيرفنغ كريستول) قد علق علىٰ أحداث سبتمبر فور وقوعها بتصريح لشبكة «فوكس نيوز»، قال فيه: «ما حدث يبرهن علىٰ صدق ما توقعناه، وأعتقد أن موعده يُقدّم فرصة تاريخية كي يعيد سياسة هذا البلد العظيم إلىٰ الأسس الصحيحة»، وهو يقصد بالموعد بالطبع؛ أن الأحداث جاءت والمحافظون جاهزون لاستغلال تلك الأحداث واستثمارها؛ من خلال وجودهم الفعلي في السلطة.

وفي كتاب صدر مؤخراً بعنوان (نهاية شر. كيف يمكن الانتصار علىٰ الإرهاب؟)، من تأليف الرمز الكبير في المحافظين الجدد (ريتشارد بيرل) عضو مجلس سياسات الدفاع بالبنتاجون، وبالاشتراك مع (ديفيد فروم)؛ حدد المؤلفان في ذلك الكتاب ما يعتبره المراقبون بياناً رسمياً من المحافظين الجدد، يتضمن رؤيتهم للسياسة الخارجية، وبخاصة فيما يتعلق بقضايا «الإرهاب» في الأعوام القادمة حتىٰ انتخابات عام ٢٠٠٨م، في حال فوز بوش بولاية ثانية، والكتاب توسع في مسائل متعددة، تتصل بشكل مباشر أو غير مباشر بالحملة الأمريكية الحالية ضد العالم الإسلامي تحت مسمَّىٰ (الحرب ضد الإرهاب)، وهذه المسائل من قبيل: هل يصب مشروع إقامة دولة للسلطة الفلسطينية في مصلحة أمريكا في حملتها ضد الإرهاب؛ وبخاصة (الإرهاب) الفلسطيني؟! وهل تستفيد أمريكا من إسقاط الحكم البعثي في سوريا، أو أن ذلك سيفتح عليها جبهة (إرهابية) جديدة كما هو حادث في العراق؟ وهل يفضل أن تعامل أمريكا السعودية كدولة داعمة للإرهاب، أو يتم التعامل معها كدولة صديقة؟ وهل يمكن أن تستفيد الولايات المتحدة في المراحل المقبلة من تفعيل مبدأ الحرب الاستباقية؟ وما السبل لتطوير المؤسسات الأمنية الأمريكية لكي تصبح قادرة علىٰ مواجهة الأخطار الإرهابية الجديدة؟ ثم يختم الكتاب أسئلته بالسؤال الأهم والأخطر وهو: ما الذي يتحتم علىٰ الولايات المتحدة فعله لكي تستكمل انتصارها في الحرب ضد (الإرهاب)؛ بعد التخلص من نظامي طالبان وصدَّام حسين؟

لست بصدد تفصيل إجابات مؤلفَيْ الكتاب عن تلك الأسئلة؛ لأن الكلام في ذلك يطول، ولكن الذي يعنيني هنا؛ أن المحافظين الجدد يعتبرون قضية (الحرب ضد الإرهاب) هي قضيتهم، وهم الذين رسخوا ذلك البديل اللفظي الخبيث (الإرهاب) في وصف كل مقاومة إسلامية مشروعة، حتىٰ إن المحتل حينما أخفق في التصدي للمقاومة العراقية في فترة إدارة (جاي غارنر) المحافظ اليهودي الجديد؛ دفع إلىٰ الواجهة بوجه آخر

أشد شراسة من اليهودي غارنر، وهو (بول بريمر) ذلك الصهيوني المسيحي العتيد في خبرته في (مكافحة الإرهاب)، فقد زكَّاه دونالد رامسفيلد، وولفويتز، فاختير من بين ٥٠ مرشحاً لمنصب الرئيس الأمريكي للعراق، وجاء معه خبرة ٢٣ عاماً في مجال (مكافحة الإرهاب)، وقد عبَّر (بول بريمر) عن السياسة التي يتوجب على أمريكا أن تسلكها في مواجهة أي مقاومة لمشاريعها الاستعمارية الجديدة، فقال في مقال نشرته صحيفة الواشنطن بوست في ١٣/ ١/ ٢٠٠٢م: «على الولايات المتحدة أن تنتهج سياسة هجومية في مجال مكافحة الإرهاب، بصراحة أكبر. . يجب أن نقتل الإرهابيين قبل أن يقتلونا». وحذَّر من (حرب مقدَّسة) تخوضها جماعات إسلامية من دون قيادة مركزية ضد الولايات المتحدة، وأبدى الاستعداد لتقديم خبرته العملية في إدارة تلك الحرب ضد تلك الجماعات. وقبل أن يتفرغ لملف العراق تماماً بعد هجمات سبتمبر؛ كان (بول بريمر) قد عمل سفيراً متجولاً لمكافحة الإرهاب من سنة ١٩٨٦م حتى ١٩٨٩م، ثم عمل مستشاراً للرئيس الأمريكي السابق في مجال مكافحة الإرهاب، وترأس بين عامي ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م اللجنة الوطنية لمكافحة الإرهاب، وانضم لعضوية منظمة (معاً ضد الإرهاب) التي أسسها المحافظ الجديد (وليام بينت).

أما الاستراتيجية التي يقترحها «المحافظون الجدد» على الإدارة الأمريكية في حربها ضد (الإرهاب)؛ فقد حددها (دوغلاس فايث) وكيل وزارة الدفاع الأمريكية للشؤون السياسية، والمتنفذ الفاعل في مجموعة المحافظين الجدد، وذلك في كلمة ألقاها في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٣م أمام اجتماع عقده مجلس العلاقات الخارجية بالعاصمة الأمريكية، وأوضح (فايث) في كلمته أن استراتيجية أمريكا في حربها ضد الإرهاب ينبغي أن ترتكز على ثلاثة محاور:

المحور الأول: هو تعطيل نشاط (الإرهابين)، ثم تدميرهم مع بنيتهم الأساسية.

المحور الثاني: يتمثل في خوض (معركة أفكار) معهم، تستهدف تجنيد بعضهم وتحويلهم إلى المبادئ «الصحيحة»، واستخدامهم في تلك المعركة التي تعتبر معركة (أيديولوجية)، يتوجب على أمريكا أن تكسبها أيضاً؛ لأن (الإرهاب) ظاهرة سياسية تحركها أيديولوجية، والأيديولوجيات يمكن أن تُهزم مثلما هُزمت الشيوعية في الاتحاد السوفييتي السابق.

وأما المحور الثالث: فيتمثل في عمل المزيد لحماية الأمن القومي الأمريكي الذي أنشئت من أجله وزارة جديدة، وهي وزارة الأمن الوطني، كما أنشأت وزارة الدفاع قيادة جديدة يتولى فيها للمرة الأولى قائد عسكري مقاتل؛ الإشراف الأمني على جميع أراضي الولايات المتحدة القارية. ثم خلُص (فايث) إلى القول بأن أحد مكونات المحور الثالث من استراتيجية أمريكا في حربها ضد الإرهاب؛ هو استخدام صواريخ الدفاع الاستراتيجية لمواجهة الإرهاب عندما يقتضي الأمر(١).

---

(١) نشرة مكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأمريكية، وعنوانه على شبكة الإنترنت: htth //usinfo:stategov

الرموز والشخصيات النافذة:

كما سبقت الإشارة؛ فإن المحافظين الجدد يكادون أن يكونوا جماعة بكل ما تعنيه الكلمة من مضامين، فهناك (أعضاء) يُقطع بعضويتهم في منظومة «المحافظين الجدد» المشتملة على أفكار وغايات ووسائل، وهناك حلفاء، وهناك أنصار. فـ (ديك تشيني) مثلاً - رغم كونه من الصقور الكبار - ليس من المحافظين الجدد، ولكن رئيس موظفيه (ليبي سكوتر) محسوب على المحافظين الصهيونيين الجدد، و (دونالد رامسفيلد) صقر بارز في الإدارة الأمريكية؛ غير أنه ليس من المحافظين الجدد، لكن نائبه في وزارة الدفاع وزير الخارجية (بول وولفويتز) من أبرز رموز هؤلاء المحافظين، ووكيل الوزارة للشؤون السياسية (دوغلاس فايث) من المنتمين لتيار المحافظين الجدد. و (كولن باول) بالرغم من انحداره من أصول يهودية[1] وجلوسه على كرسي الخارجية شبه المحتكرة من المحافظين الجدد؛ ليس منهم، بل بينه وبينهم ندية ومماحكات، في حين أن (جون بولتون) الذي يشغل منصب وكيل وزارة الخارجية لشؤون الأمن الدولي؛ من الأعضاء البارزين في تكتل المحافظين الجدد.

نخلص من هذا إلى أن منتدى عضوية المحافظين الجدد يكاد يكون محدداً في شروط الالتحاق به، ولعل أبرز وأهم تلك الشروط؛ أن يكون العضو من اليهود الحاملين للفلسفات المستمدة من طروحات «ليوشتراوس»، وعلى رأسها نزعة السيطرة على العالم لا على أمريكا فقط - كما سيأتي التفصيل - . ونظراً لأن أسماء كثيرة سترد أثناء هذا البحث من رموز هذا التيار المتصاعد في أمريكا؛ فمن المهم أن نورد ألمع تلك الأسماء ليكون القارئ ملماً بخلفيات الكلام عنهم من جهة؛ ولكي يحاول أن يراقب دور هذه الأسماء في تفاعلات الأحداث في المراحل القادمة من جهة أخرى، هذا إذا قُدر لتلك العصابة أن تظل ممسكة بزمام السياسة الخارجية لدولة القطب الوحيد في بدايات القرن الميلادي الجديد.

وسأورد الآن نبذة مختصرة عن أهم الرموز البارزة من أعضاء «جماعة المحافظين الجدد»:

منتدى «المحافظون الجدد»:

* **إيرفنغ كريستول (يهودي):**

أبرز الآباء المؤسسين للمحافظين الجدد وزعيمهم المقدم، ولد عام ١٩٢٩م، وهو معاصر لشتراوس (المتوفى سنة ١٩٧٣م)، وعمل معه مدة طويلة، وقد شغل منصب مدير التحرير لمجلة (كونترى) حتى عام ١٩٩٥م، وأسس مجلة (إنكاونتر) مع بعض المحافظين الآخرين، ورأس تحريرها حتى عام ١٩٥٨م، وكانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تمول تلك المجلة. و (إيرفنغ كريستول) عضو بارز في معهد (أمريكان إنترابرايز) المتخصص في تقديم الاستشارات لمسؤولي الدولة، وله كتاب يحكي فلسفة المحافظين الجدد، اسمه (المحافظة الجديدة: السيرة الذاتية لفكرة). وإيرفنغ هو الذي وضع أسس ما أطلق عليه (مانيفستو عام ١٩٩٧م)، وهو البرنامج الذي اشتهر بعد ذلك بمشروع (القرن الأمريكي الجديد).

---

(١) جد كولن باول يهودي من جاميكا، وكولن نفسه يتقن لغة البيدية، وهي لغة يهودية.

* **وليام كريستول (يهودي):**

وهو ابن (إيرفنغ كريستول)، وولي عهده في زعامة المحافظين الجدد، وقد بدأ حياته السياسية ديمقراطياً مثل غالبية المحافظين الجدد، ثم انقلب جمهورياً، بل أدىٰ دوراً محورياً في وضع السياسة التي أوصلت الجمهوريين إلىٰ السيطرة علىٰ الكونجرس عام ١٩٩٤م، ويعد (وليام كريستول) من كبار المحرضين علىٰ الحرب ضد العراق، وقد ألَّف في ذلك كتاباً سمَّاه (طغيان صدّام ومهمة أمريكا)؛ نُشر قبل الحرب بشهر واحد، وبعد الحرب كتب مقالاً بعنوان (نهاية البداية)، حيث اعتبر أن الانتهاء من الحرب علىٰ العراق هو البداية التي ينبغي الاستعداد بعدها للمرحلة الثانية التي أكد أن إيران هي المرشح الرئيس للتغيير فيها، حيث ستدخل خطة إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط حيز التنفيذ «بتحرير» إيران، مثلما «تحررت» العراق!

وعندما يتحدث (وليام كريستول)؛ فإن لحديثه وضعية خاصة؛ باعتباره في نظر الكثيرين (ولي عهد المحافظين الجدد) ـ من ناحية ـ، ولأنه ـ من ناحية أخرىٰ ـ رئيس تحرير مجلة (ويكلي ستاندرد) التي يمولها الملياردير الإعلامي اليهودي (روبرت ميردوخ)، والتي تعتبر الناطق الرسمي باسم المحافظين الجدد.

* **نورمان بود هورتز (يهودي):**

وهو أحد مؤسسي اتجاه المحافظين الجدد في حقبة الستينيات، ومحرر مجلة (إنكاونتر) البارزة، عمل في الأمانة العامة لمؤسسة (هرتدج)، وذلك منذ عام ١٩٨١م، واشتركت معه زوجته (ميدج ديكتر) في العمل بها، كما أنها اشتركت معه في عضوية لجنة (الخطر الماثل) التي شُكلت لمواجهة الرئيس الديمقراطي الأسبق جيمي كارتر؛ تمهيداً لإسقاطه وتصعيد الرئيس الداعم للصهيونيتين المسيحية واليهودية (رونالد ريغان). وابنة (نورمان) هي زوجة العضو البارز في المحافظين الجدد (إيليوت أبرامز). وولده يكتب بصفة دورية في مجلة (نيويورك بوست) التي يملكها. وقد طالب (نورمان) في رسائل متعددة كلاً من الرئيسين ريغان وبوش الأب؛ بعدم الضغط علىٰ إسرائيل، ودعا منذ فترة قريبة، من خلال برنامج تلفزيوني أذيع في٧/ ٥/ ٢٠٠٢م، إلىٰ تغيير الأنظمة في الشرق الأوسط كله، وله كتاب بعنوان (الخروج من الصف) ربط فيه بين بقاء أمريكا قوية ومتقدمة للصفوف، وبين الإبقاء علىٰ تأييدها لإسرائيل دولة قوية في مواجهة أعدائها، واعتبر أن وقت خروج أمريكا من الصف أو سقوطها سيتزامن مع تخليها عن إسرائيل. وقد أطلق (بود هورتز) فكرة (الحرب العالمية الثالثة) لتغيير الأنظمة قي الشرق الأوسط؛ داعياً إلىٰ خوض تلك الحرب ضد كل من لا يوالي أمريكا.

* **ريتشارد بيرل (يهودي):**

من كبار المحافظين الجدد، ويعمل منذ ثلاثة عقود علىٰ توجيه السياسة الأمريكية تجاه (إسرائيل) بالترتيب مع وولفويتز، ودونالد رامسفيلد. وهو يحمل شهادة ماجستير في العلوم السياسية. وقد ترأس مجلس (سياسة الدفاع) المختص بتقديم المشورة لوزارة الدفاع من كبار السياسيين والعسكريين السابقين؛ غير أنه استقال من رئاسته في شهر مارس ٢٠٠٣م. ولريتشارد بيرل كتاب بعنوان: (إعادة صياغة الأمن الغربي)، صدر عام

١٩٩١م، وكتاب آخر بعنوان (الموقف المتشدد) صدر عام ١٩٩٢م، ويحكي فيه تجربته أثناء عمله في مجلس سياسة الدفاع، وهو المجلس الذي سمح (ريتشارد بيرل) أثناء رئاسته له للصحفي اليهودي (لوران مورا فيتش) أن يتحدث على منصته، ويهاجم السعودية، ويطالب بأن تحتل أمريكا آبار النفط فيها، وتصادر أموالها، وتفرض السيطرة على الأماكن المقدسة حتى تتوقف عن «دعم الإرهاب»! وقد نشرت صحيفة الواشنطن بوست تلك التصريحات في ٨/ ٨/ ٢٠٠٢م.

و (بيرل) لا يخفي أحقاده اليهودية، ولا ينكر أن غالبية المحافظين الجدد يهود مثله، وهو إضافة إلى كونه يهودياً فإنه إسرائيلي، يحمل الجنسية الإسرائيلية مع الجنسية الأمريكية، فقد قال في إحدى تصريحاته الشهيرة: «ليس غريباً أن المحافظين الجدد من اليهود، فأنت ستجد نسبة عددية تفوق عدد اليهود الفعلي في أي مشروع فكري». أما هو؛ فإن نشاطه المؤيد لإسرائيل والمحرض على العرب والمسلمين يفوق الوصف، وقد فصله الكاتب (مايكل سابا) في كتاب له بعنوان (شبكة هرمجدون). وريتشارد بيرل هو الذي وضع خطة الحرب في العراق، حيث طبَّق في تلك الخطة أهداف ووسائل المحافظين الجدد في المحطة الأولى من مشروع (القرن الأمريكي الجديد) الذي يتبناه هؤلاء المحافظون.

*** بول وولفويتز (يهودي):**

يشغل منصب نائب وزير الدفاع، وقد استغل منصبه وعمله مع دونالد رامسفيلد في توجيه أمريكا نحو حرب محتمة ضد العراق، وولفويتز من الأعضاء القدامى في المحافظين الجدد، فقد كان تلميذاً مباشراً للمؤسس (ليو «شتراوس») في جامعة شيكاغو، وهو يحمل بكالوريوس في الرياضيات ودكتوراه في العلوم السياسية، وشغل منصب رئيس كلية الدراسات السياسة المتقدمة في جامعة (جونز هوبكنز)، وعمل أستاذاً للعلاقات الدولية بها، وعلى هذا فهو ليس من العسكريين؛ رغم توليه ذلك المنصب الرفيع في وزارة الدفاع، وشأنه في ذلك شأن رامسفيلد نفسه.

*** إيليوت أبرامز (يهودي):**

وهو يشغل منصب المساعد الخاص لبوش الابن، والمسؤول عن سياسة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في مجلس الأمن القومي الأمريكي، وقد تولى قبل ذلك منصب مساعد وزير الخارجية في عهد ريجان. وله كتاب بعنوان (الإيمان والخوف)، عبَّر فيه عن حرصه الشديد على بقاء اليهود عنصراً مستقلاً داخل المجتمع الأمريكي؛ بحيث لا يذوب في نصرانية ذلك المجتمع أو علمانيته. وهو متزوج من ابنة أحد الرموز الكبار في المحافظين الجدد، وهو (نورمان بود هورتز) الذي سبق الكلام عنه.

*** ديفيد وورمز (يهودي):**

من أشد المحرضين العنصريين على العرب، وقبل الحرب على العراق دعا إلى تحطيم فكرة القومية العربية نهائياً بضرب رمزها الأخير صدَّام حسين، وتقويض نظامه، وقد ألَّف في ذلك كتاباً عام ١٩٩٩م سمَّاه (حليف

الطغيان)، وقدم لـه ريتشارد بيرل الذي شاركه في كتابة مذكرة (الانفصال التام) التي قدمها المحافظون الجدد لبنيامين نتنياهو عام ١٩٩٦م أثناء فترة رئاسته للوزراء؛ يطالبونه فيها بالتخلي عن عملية السلام واتفاقية أوسلو. وقد عمل (وورمز) مساعداً لجون مولتون وكيل وزارة الخارجية الأمريكية. وزوجة ديفيد (ميراف وورمزر) نشطة هي الأخرى ضمن منظومة المحافظين الجدد، وقد أسست مع (إيغال كارمون) - أحد عملاء الاستخبارات الإسرائيلية - معهد أبحاث الشرق الأوسط الذي أطلق عليه (ميمري)، وشاركت في إعداد تقرير (الانفصال التام) السابق ذكره، وهي تفخر دائماً بأنها أنشط العاملات لكشف (اللاسامية) في مناهج التعليم العربية، وتعمل الآن مديرة لمركز دراسات الشرق الأوسط في معهد هدسون.

*** لويس ليبي (يهودي):**

من مؤسسي مشروع (القرن الأمريكي الجديد) - وسيأتي تفصيل عن ذلك المشروع -، ولويس يشغل منصب كبير مساعدي ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي، وقد عمل معه أثناء توليه منصب وزير الدفاع في عهد رئاسة بوش الأب، وكان قد أعد مع حليفة الحميم (بول وولفويتز) تقريراً يدعو إلى اعتماد مبدأ (الحرب الاستباقية)، وقدماه إلى ديك تشيني عندما كان وزيراً للدفاع، إلا أن ذلك الاقتراح اعتُبر متهوراً في حينه، ولكنه اعتُمد فيما بعد كمبدأ رئيس في الاستراتيجية الأمريكية عندما تسلّم المحافظون الجدد دفة السياسة الأمريكية الخارجية في عهد بوش الابن.

*** ستيفن براين (يهودي):**

تولى عام ١٩٧٩م منصب المدير التنفيذي للمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، وعمل مساعداً لريتشارد بيرل في وزارة الدفاع عام ١٩٨١م، وتولى منصب مساعد الوزير لسياسة الأمن الدولي، وهو عضو بارز في معهد (أمريكان إنترابرايز)، سبق أن أوقف عن عمله في الكونجرس بسبب تسليمه صوراً لوفد إسرائيلي زائر عن القواعد العسكرية في المملكة العربية السعودية، ولكن المحافظين الجدد التقطوه، فاتخذه ريتشارد بيرل مساعداً له في وزارة الدفاع (١٩٨١ - ١٩٨٨م)، حيث مارس دوراً كبيراً في زيادة التعاون العسكري مع (إسرائيل)، وقام بتدبير عمليات التمويل لمشروع الدبابة الإسرائيلية الصنع (ميركافا)، واستغل عضويته في مجلس إدارة هيئة التبادل التجاري الأمريكي الإسرائيلي لكي يروج للتكنولوجيا الإسرائيلية. واستغل أيضاً منصبه في إدارة شركة (أورورا) لاستشارات الدفاع؛ في تنشيط التعاون بين أمريكا وإسرائيل في ذلك المجال.

*** جاي غارنر: (يهودي):**

أحد الموظفين الكبار في المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، وكان أحد الموقعين على رسالة أعدها ذلك المعهد عام ٢٠٠٠م؛ طالبوا فيها بتحالف إسرائيلي أمريكي في المجال الأمني على غرار تحالفهما في المجال العسكري والسياسي. وقد جيء به من المعهد المذكور؛ ليترأس ٢٥ مليون عربي ومسلم في العراق بعد

احتلالها، ولكن الأمريكيين فوجئوا بعد الاحتلال بشدة المقاومة، ولم تظهر من غارنر كفاءة في مواجهة تلك المقاومة، فعُين (بول بريمر) أبرز خبراء (مكافحة الإرهاب) في الولايات المتحدة؛ ليكون (حاكماً مدنياً) للعراق؛ مستعملاً خبرة ٢٣ عاماً في تخصصه في (مكافحة الإرهاب)، وعضويته في منظمة (أمريكيون ضد الإرهاب) لكي يتصدىٰ للمجاهدين في العراق.

*** دوغلاس فايث (يهودي):**

من تلاميذ ريتشارد بيرل، ونائب وولفويتز في وزارة الدفاع، ووكيل في الوزارة لشؤون السياسة، وهو من الصقور الليكوديين وأحد الأعضاء المهمين في المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، وله كتابات كثيرة في الصحف والمجلات الأمريكية يدعو فيها للوقوف التام بجانب إسرائيل، وقد كرمت المنظمة الصهيونية الأمريكية دوغلاس ووالده - تلميذ الزعيم الصهيوني (فلاديمير جابوتنسكي) - ووصفتهما بالمحسنين الكبيرين في خدمة إسرائيل.

*** ديفيد فروم (يهودي):**

المساعد الخاص السابق لجورج بوش، وأحد كتَّاب خطاباته المتعلقة بالسياسة الخارجية، وهو صاحب الخطاب الذي تحدث فيه بوش عن (محور الشر)، وقد اشترك مؤخراً مع ريتشارد بيرل في تأليف كتاب (نهاية شر) الذي يطرح المحافظون الجدد فيه رؤيتهم حول تشكيل السياسات الأمريكية في السنوات الخمس القادمة؛ في حال فوز جورج بوش بمدة رئاسة ثانية، وهو من أخطر الكتب الصادرة عن رموز المحافظين الجدد.

*** دانيال بايبس (يهودي):**

مدير منتدىٰ الشرق الأوسط، وابن ريتشارد بايبس مستشار الرئيس الأسبق رونالد ريغان، وكان ريتشارد قد أطلق مع ريغان اسم (إمبراطورية الشر) علىٰ الاتحاد السوفييتي السابق، وابتكر ابنه دانيال عبارة (محور الشر)؛ ليكون هذا المحور منتدىً مفتوحاً لما يسميه الأمريكيون بالدول المارقة، و «محور الشر» هو التعبير الذي ظل جورج بوش يستعمله قاصداً به العراق وإيران وكوريا الشمالية، وظهر بعد ذلك أنه قابل للتوسعة بإضافة دول أخرىٰ إليه؛ حتىٰ إن ريتشارد بيرل اقترح إضافة المملكة السعودية لمحور الشر!

*** جون بولتون (يهودي):**

وهو صهيوني متطرف يشغل منصب وكيل وزارة الخارجية لنزع السلاح والأمن القومي، وهو عضو في المجلس الاستشاري للمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، وأحد مهندسي الحرب ضد العراق، يعد من أبرز نشطاء اللوبي الصهيوني، ويعمل مستشاراً لديك تشيني نائب بوش، وقد عمل في إدارتي ريغان وبوش الأب، وهو من المحرضين بشدة ضد سوريا وإيران، فقد دعا في فبراير عام ٢٠٠١م - أي قبل الحرب بشهر - إلىٰ مواجهة سوريا وإيران بعد الانتهاء من العراق، ودعا إلىٰ ضم ليبيا وكوبا إلىٰ (محو الشر)، ويعارض بولتون مشاركة

الأمم المتحدة للولايات المتحدة في إدارة الشؤون العالمية، ومن آرائه المثيرة للجدل: أنه يعتقد أن الحرب العالمية على الإرهاب - والتي يعتقد أنها هي الحرب العالمية الرابعة[1] - سوف تستمر لمدة ٤٠ سنة!

* **مايكل ليدين (يهودي):**

عضو في المجلس الاستشاري للمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، وأبرز نشطاء اللوبي الصهيوني (إيباك)، ويعمل مستشاراً لديك تشيني نائب بوش، وباحث في معهد (أمريكان إنترابرايز)، ويُنظر إليه على أنه مرجع دولي في شؤون الاستخبارات، فقد خطط لتنفيذ أدق المهمات الاستخبارية وأخطرها في التاريخ الأمريكي المعاصر، وقد تسلم الملف السوري ليقدم رؤيته للإدارة الأمريكية بشأن ما ينبغي فعله ضد سوريا، وهو أشد المحرضين على مهاجمة سوريا وإيران أسوة بالعراق وأفغانستان، ودعا في كلمة ألقاها أمام المعهد اليهودي في ٣/ ٤/ ٢٠٠٢م إلى «تحرير إيران»، وقال: «إن الوقت قد حان لذلك»، وأكد أن ذلك لن يكون إلا بحرب شاملة لا تقتصر على المجال العسكري، بل تشمل المجال الثقافي أيضاً، وقد أسس ما يُسمّى بـ (التحالف من أجل الديمقراطية). للتمهيد (للثورة الديمقراطية) في إيران، وليدين نفسه - كما يقول (ليندون لاروش) هو عرّاب الصفقة السرية التي تم بمقتضاها تزويد الثورة الإيرانية بشحنات صواريخ في الحرب ضد العراق!

* **كارل روف (يهودي):**

مدير الحملة الانتخابية لجورج بوش في حملته الأولى والثانية، ومستشاره السياسي وساعده الأيمن وقت الأزمات، وهو الذي اقترح على جورج بوش أن يهبط بطائرة حربية على متن إحدى حاملات الطائرات؛ ليزور بغداد في مشهد استعراضي في اليوم الأول من افتتاح الحزب الديمقراطي لتسجيل الترشيح للحملة الانتخابية القادمة، وذلك ليخطف الأضواء منهم إعلامياً في ذلك اليوم المهم، وهو ما حدث بالفعل.

و (كارل روف) ذو مزاج حربي حاد مثل أكثر المحافظين الجدد، وقد لخص وصية لجورج بوش في مواجهة خصومه في الداخل والخارج في ثلاث كلمات، وهي: (هاجم.. هاجم.. هاجم)! ولروف دور أساسي في التحول الذي حدث لجورج بوش بعد تحويله من المجون والاستهتار إلى حالة (الولادة الثانية) أي التوبة في تعبير الإنجيليين الأصوليين؛ إذ دفعه إلى العمل بالسياسة، وساعده في الوصول إلى رئاسة ولاية تكساس، ثم كان معه حتى وصوله للسلطة، ولـ (كارل روف) مكتب استشارات سياسية يعمل فيه سبعة آلاف خبير سياسي.

ويكاد (كارل روف) أن يتحكم في عقل جورج بوش؛ لدرجة أن كاتبين أمريكيين - هما: جميس مور، وكيم سالاتر - ألفا كتاباً بعنوان (عقل بوش) يكشفان فيه عن أفكار (كارل روف) المعروفة عنه، ويبينان كيف نسخت هذه الأفكار في عقل بوش من خلال تصرفاته وتصريحاته، وهو ما لاحظه كثيرون، منهم الكاتبة (إليزابيث دور) التي كتب تقول: «إنه لم يسبق لأي مساعد أو مستشار رئاسي أن تمتع بذلك الدور من القوة والنفوذ؛ كما يتمتع (كارل روف) في تأثيره على جورج بوش»، ويشتهر بين بعض المراقبين أن (كارل روف) هو

(١) على اعتبار أن الحرب العالمية الثالثة كانت هي الحرب الباردة.

القوة الخفية الجالسة على كرسي الحكم في الولايات المتحدة، تحت واجهة جورج بوش، ويذكر هنا أن (كارل روف) نفسه كان مساعداً شخصياً لجورج بوش الأب، وهو الذي أوصاه بتبني جورج الابن سياسياً.

*** روبرت كاغان:**

أحد كبار المحررين في جريدة (واشنطن بوست)، ويعده البعض من المنظِّرين الأساسيين للمحافظين الجدد، وله كتاب بعنوان (الجنة والسلطة: أمريكا وأوروبا والنظام العالمي الجديد)، وله كتابات عن السياسة الخارجية الأمريكية، وكان قد بدأ حياته ليبرالياً ثم تحول إلى محافظ جديد، وزوجته (فكتوريا) من أعضاء المحافظين الجدد، وهي مستشارة لديك تشيني نائب بوش، وتعمل نائبة لرئيس البعثة الأمريكية في حلف الناتو، وهو مسؤول عن صياغة الأفكار التي تُقدَّم لبوش لتكون على شكل برامج عمل.

وفي كتابه (الجنة والسلطة) يقول روبرت كاغان: «إن الأوروبيين يلجؤون إلى الأمم المتحدة وسياسة التصالح والمفاوضات مع الأنظمة الدكتاتورية؛ لأنهم أصبحوا ضعفاء عسكرياً، وأما أمريكا فتستخدم سياسة العصا الغليظة؛ لأنها قوية جداً من الناحية العسكرية، ولأنها تنفق على جيشها سنوياً ما لا يقل عن ٥٠٠ مليار دولار».

*** رونالد كاغان:**

من مؤسسي مشروع القرن الأمريكي الجديد، بل هو الشريك الأساسي لوليام كريستول في ذلك، ويترأس تحرير مجلة (ويكلي ستاندرد)، وهو يطالب دائماً في كتاباته بزيادة الإنفاق العسكري للولايات المتحدة.

*** وليام بينت:**

من البارزين في المحافظين الجدد، ويحمل درجة الدكتوراه في الفلسفة، وهو أحد الأعضاء الرئيسيين في (مشروع القرن الأمريكي الجديد) ومن الذين وقعُّوا على ميثاقه، وقد حوّل وثيقة (على أي أساس نقاتل؟) التي أعدها عدد من أبرز المثقفين الأمريكيين بعد أحداث سبتمبر، إلى كتاب هاجم فيه الإسلام، وبالغ في تأييد إسرائيل. وهو مؤسس منظمة (أمريكيون ضد الإرهاب) التي انضم إليها بول بريمر الحاكم الأمريكي للعراق.

*** مايكل نوفاك:**

هو مدير قسم الدراسات السياسية والاجتماعية في معهد (أمريكان إنترابرايز) التابع للمحافظين الجدد، وهو المنظِّر الأول لهم، وعضو مجلس أمناء مؤسسة (الوقف الوطني الديمقراطي) التي كلفها جورج بوش بتنفيذ مشروع (الشرق الأوسط الكبير).

*** أبرام شولسكي:**

رئيس (مكتب المهمات الخارجية) المنافس الرئيس لجهاز الاستخبارات المركزية الأمريكية، والذي جمع معلومات زائفة لتسويغ الحرب ضد العراق.

وإضافة إلىٰ هؤلاء (الأعضاء) في جماعة المحافظين الجدد؛ فإن هناك أشخاصاً، ربما لم ينتسبوا عضوياً إلىٰ ذلك التكتل الحزبي الحربي، ولكن خدموا ـ ولا يزالون يخدمون ـ أطروحات المحافظين الجدد بقوة دفع فكرية، ومن هؤلاء:

*** فرانسيس فوكوياما:**

وهو أمريكي من أصل ياباني، واشتهر بأطروحته المسماة (نهاية التاريخ)، وهي دراسة في مقالة نشرتها مجلة (ناشيونال إنترست) عام ١٩٨٩م، وكان فوكوياما يعمل وقتها نائباً لمدير مجموعة السياسة بوزارة الخارجية الأمريكية، ومسؤولاً عن التخطيط السياسي للولايات المتحدة، وفرانسيس فوكوياما عضو رئيس في مجلس أمناء مؤسسة الوقف الوطني الديمقراطي، والتي عهد إليها جورج بوش بتنفيذ السياسة المتعلقة بمشروع الشرق الأوسط الكبير، وأطروحة (نهاية التاريخ) تقوم علىٰ فرضية مفادها: أن النموذج الأمريكي المعاصر هو آخر ما يمكن أن تصل إليه البشرية من رقي، فلا مجال بعد ذلك لإضافة حضارية جديدة تضيف شيئاً مهماً للتاريخ الإنساني.

*** صموئيل هنتنجتون:**

أكاديمي أمريكي، وهو مدير معهد الدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد، وقد طرح نظريته الشهيرة (صدام الحضارات) في مقالة له بذلك العنوان نشرت في دورية (فورجن أفيرز) في صيف عام ١٩٩٣م؛ بعد سقوط الاتحاد السوفييتي الذي غاب معه العدو الرئيس للغرب.

ثم أعاد نشرها بتوسع في كتاب بعنوان (صدام الحضارات... إعادة صنع النظام العالمي)، وأهم أفكار الكتاب: هي أن الدين هو أهم العوامل التي تميِّز بين الحضارات، وهو أهم عوامل الصراع في المستقبل، وأن الصراعات العسكرية بين الحضارة الإسلامية والغربية استمرت لعدة قرون في الماضي، وسوف تستمر في المستقبل وتزداد، وتكون أكثر قساوة. وسجل هنتنجتون في كتابه أن المجتمعات الإسلامية لا تتحدد هويتها إلا بالإسلام الأصولي، وتنبأ بأن زيادة سكان العالم الإسلامي ستسبب المشاكل لأوروبا بسبب الهجرات، وأن أطراف هذا العالم ستكون مناطق صِدَام بين الإسلام وغيره من الأديان(١).

ويرىٰ هنتنجتون أن حروب المستقبل ستشهد تحالفات وتضامناً حضارياً يقف ضد حضارات أخرىٰ، وأن الحضارة الغربية التي تعيش الآن مرحلة القمة؛ ستسيطر علىٰ بقية العالم في المستقبل، ولهذا قدم (وصايا) قال: «إن علىٰ الغرب أن يتهيأ لمواجهة صراعات في المستقبل»، وقد قسمها إلىٰ قسمين: قسم من الوصايا علىٰ المدىٰ القصير، وقسم علىٰ المدىٰ الطويل.

---

(١) كما هو حادث الآن في جهات ثلاث من العالم الإسلامي، ففي الجنوب (مشكلة جنوب السودان، نيجيريا، الصومال، إريتيريا، إثيوبيا)، وفي الشمال (البوسنة، كوسوفا، ألبانيا، أذربيجان، الشيشان، أفغانستان، باكستان)، وفي الشرق (إندونيسيا، الفلبين، كشمير).

أولاً: على المدى القصير قدم التوصيات التالية:

١ ـ على الغرب أن يسعىٰ إلىٰ تعاون وثيق داخل الحضارة الغربية، وخاصة بين دول أوروبا وأمريكا الشمالية.

٢ ـ ضرورة السعي لدمج دول شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية في المجتمع الغربي، واستغلال التقارب الثقافي في هذا.

٣ ـ السعي للحفاظ علىٰ علاقات تعاونية أوثق مع كل من روسيا واليابان.

٤ ـ منع تطور الصراعات المحلية داخل الحضارة الغربية إلىٰ صراعات كبيرة.

٥ ـ العمل علىٰ الحد من توسع القوة العسكرية للدول الإسلامية والكونفوشيسية (الصين وما حولها).

٦ ـ عدم السعي إلىٰ تخفيض القوة العسكرية الغربية، مع أهمية الاحتفاظ بقوة عسكرية في شرق وجنوب غرب آسيا (إندونيسيا، باكستان، أفغانستان، الخليج).

٧ ـ استغلال الخلافات بين الدول الإسلامية والكونفوشيسية (الهند، باكستان، كشمير).

٨ ـ دعم الجماعات المتعاطفة مع القيم والمصالح الغربية في دول الحضارات الأخرىٰ.

٩ ـ تقوية دور المؤسسات الدولية التي تعكس مصالح الغرب وقيمه وتمنحها الشرعية.

ثانياً: على المدى الطويل:

وملخص اقتراحاته في ذلك؛ أن علىٰ الحضارة الغربية أن تحتفظ بقوتها العسكرية والاقتصادية، وتعمل في الوقت نفسه علىٰ مقاومة محاولات الحضارات الأخرىٰ في السعي للحصول علىٰ أسباب القوة الاقتصادية والعسكرية، مع أهمية أن تفهم دول الحضارة الغربية: المنطلقات الدينية والفلسفية التي تدفع الحضارات الأخرىٰ للسعي نحو النهضة.

وإذا كانت هذه الأفكار تتوافق إلىٰ حد كبير مع ما كان يتمناه ويتبناه المحافظون الجدد منذ نشأة كيانهم؛ فإن هؤلاء المحافظين هم الذين يتولون الآن تحويل هذه الأفكار إلىٰ برامج وخطط ترمي إلىٰ تفعيل (صراع الحضارات) بين الأمم؛ ليتم الوصول إلىٰ الصورة المتوقعة لـ (نهاية التاريخ).

مواقع النفوذ:

أخذ «المحافظون الجدد» زمام المبادرة بشكل شبه كامل في أعقاب أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، بعد فترة من الاستقطاب بين الصقور والحمائم في إدارة بوش، وقد ساعدتهم أحداث ما بعد سبتمبر علىٰ جذب المزيد من المشجعين والأنصار؛ حيث التقط «المحافظون الجدد» عجلة القيادة من المحافظين التقليديين في الشؤون الخارجية والعسكرية، وطرحوا بعد أسبوع واحد من وقوع الأحداث علىٰ الرئيس جورج بوش برنامجاً مرحلياً للمشروع

الذي أُطلق عليه إعلامياً (الحرب العالمية ضد الإرهاب)؛ حيث حددوا فيه أن تكون البداية تصفية نظام طالبان في أفغانستان، والقضاء على تنظيم القاعدة فيها كخطوة أولى، ثم يُنتقل بعدها إلى الشرق الأوسط حيث العراق وسوريا وإيران ولبنان وغيرها، وهو البرنامج الذي قيل وقتها إنه سيستغرق نحو ١٠ سنوات، ويشمل نحو ٦٠ دولة.

لقد كانت استجابة بوش السريعة لهذا البرنامج إشارة واضحة إلى أن هناك مركز ثقل داخل الإدارة يوجِّه سياستها الخارجية. ولكن ذلك لايعني أن نفوذ المحافظين الجدد في الولايات المتحدة نشأ بعد أحداث سبتمبر كما تردد بعض وسائل الإعلام، ولكنه فقط طفا إلى السطح ثم برز واستقر. وإلا فإن هناك مؤسسات نشطة في مجالات الفكر والسياسية والإعلام والتخطيط تتبع للمحافظين الجدد؛ كانوا يرتبون من خلالها أوراقهم ريثما تسنح الفرصة المنتظرة منذ عقود، وهي اختطاف أمريكا.

ومن تلك المؤسسات:

١ - معهد (أمريكان إنترابرايز): وهو أهم مراكز التقاء المحافظين الجدد، وأشهر معاقلهم، وقد أُسس عام ١٩٤٣م، ويعمل فيه نحو ٥٠ باحثاً متفرغاً، ومئة متعاونون، وهناك ١٤ شخصاً من أعضاء هذا المعهد يعملون في إدارة بوش، وتمثيل هذا المركز في الإدارة - كما يقول أعضاؤه - ليس هو الأكثر ولكنه الأفضل. ويقوم المركز بتقديم المشورة من خلال أبحاثه لمختلف أجهزة الحكومة، ويُدار بمجلس إدارة من ١١ عضواً يترأسهم (كريستوفر ديموث). ومن أعضاء هذا المجلس (صموئيل هنتنجتون) صاحب نظرية - أو بالأحرى «أمنية» -: (صراع الحضارات) الشهيرة، ومن أعضائه كذلك ريتشارد بيرل، إضافة إلى «كوكبة» من رموز المحافظين الجدد أو أنصارهم مثل (إيليوث كوهين) و(لين تشيني) زوجة ديك تشيني، و(إليزابيث تشيني) ابنته، (نيوت غيغرينتش)، و(مايكل لادين)، و(جين كبر كبارتيك)، وقد عقد مجلس إدارة المعهد عدة جلسات لمناقشة كيفية إدارة المواجهة مع العراق (قبل الحرب)، وأطلقوا على هذه الجلسات (جلسات القهوة)، وكان ريتشارد بيرل أبرز وجوهها، وقد صرح بعد انتهاء الحرب على العراق بأن المجلس سيعقد جلسات أخرى للمواجهة مع كوريا الشمالية، وسيطُلق عليها (جلسات الشاي)!

٢ - منتدى الشرق الأوسط: وهو تابع للمحافظين الجدد أيضاً، ورئيسه هو (دانيال بايبس) الذي تزعم قبل ذلك اللوبي اليهودي (الإيباك)، وأهداف ذلك المنتدى تسير على محورين: الأول: نشر «القيم» الأمريكية. والثاني: محاربة «الإرهاب». ويعمل أعضاؤه على التخطيط والترويج لسياسة أمريكا في هذين المحورين، ولا يكتفي بتقديم الأفكار والمقترحات في مجال (مكافحة الإرهاب) فقط؛ بل يقدم المشورة في شأن التعامل مع الجهات (المتعاطفة معه) أو (المتغاضية عنه)؛ سواء كانت جمعيات ومؤسسات أو حتى حكومات. ويقدم هذه المشورة ١٨ خبيراً من خبراء (مكافحة الإرهاب)، وقد قدم المنتدى في هذا الإطار مشروعاً لمراقبة الساحات الأكاديمية، ووضع دوائر حمراء حول من يعدهم المنتدى مسوغين للإرهاب، وأصدر بذلك قائمة بـ ١٠٨ أسماء من الأكاديميين والجامعيين.

٣ ـ مؤسسة برادلي: وهي مؤسسة تتسم بالقوة والثراء، وتهدف إلىٰ دعم الأنشطة الخاصة بالحريات السياسية والاقتصادية ـ وكلاهما يستفيد منه اليهود ـ، وهي مؤسسة قديمة أنشأها الأخوان (ليندا) و(هار برادلي) عام١٩٠٣م، ولكن جرىٰ تطويرها وتفعيلها بتحويلها إلىٰ شركة، وهي تمول مشروعات وأنشطة المحافظين الجدد، ومن الأنشطة التي تمولها هذه الشركة (مركز الدراسات الاستراتيجية) بجامعة هارفاد الذي يترأسه صموئيل هنتجنتون.

٤ ـ (مركز سياسة الأمن) وقد تأسس عام ١٩٨٨م: ويترأسه أحد رموز المحافظين الجدد، وهو (فرانك غافني)، وقد شغل بعض أعضاء هذا المركز مناصب حكومية في إدارة الرئيس الأسبق رونالد ريغان، والمركز ملتقىٰ للتعاون بين المحافظين الجدد وصقور اليمين الديني المسيحي، فقد كان من أعضائه منذ وقت مبكر (ريتشارد تشيني) الذي منحه المركز جائزة (حامل الشعلة)، ومعروف أنه تولىٰ بعد ذلك منصب وزير الدفاع في إدارة بوش الأب، ثم منصب نائب الرئيس في إدارة بوش الابن. وكان من أعضاء هذا المركز أيضاً (دونالد رامسفيلد) الذي تقلد منصب وزير الدفاع في حكومة بوش الابن. وقد «خرّج» هذا المركز عدداً من المبرزين في مواقع القيادة في أمريكا، منهم الآن ٢١ عضواً يعملون مع بوش، ومن بينهم (إيليوت أبرامز) و (ريتشارد بيرل) و(جيمس روش).

٥ ـ (مكتب المهمات الخاصة): وهو المكتب الذي أنشأه «المحافظون الجدد» لينافس وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، ووكالة استخبارات الدفاع في البنتاجون؛ بعد اعتماد بوش لمشروعهم في الحملة العالمية علىٰ ما يُسمّىٰ بالإرهاب، ومدير هذا المكتب هو (أبرام شولسكي) الذي عمل في الاستخبارات وقضايا السياسة الخارجية علىٰ مدىٰ ٣ عقود. والغرض من إنشاء هذا المكتب هو إيجاد الأدلة التي تدعم وتسوّغ مشاريع التدخل التي يقترحها «المحافظون الجدد» علىٰ الإدارة الأمريكية، وكان أول تطبيق لذلك ما حدث بشأن العراق؛ حيث حشد المكتب ما زعمه أدلة استخباراتية لدعم ادعاءات رامسفيلد وولفويتز عن امتلاك العراق لمخزون هائل من أسلحة الدمار الشامل، وعن علاقة النظام بتنظيم القاعدة.

٦ ـ مجلس سياسة الدفاع: وقد أنشئ لترويج وتفعيل برامج «المحافظين الجدد»، ويتألف المجلس من ٣٠ عضواً من كبار السياسيين والعسكريين السابقين، وأعضاء هذا المجلس هم المسؤولون عن اختيار وكيل وزارة الدفاع للشؤون السياسة. وكان ريتشارد بيرل هو الرئيس لذلك المجلس حتىٰ استقال في شهر مارس ٢٠٠٣م، وقد عرَّف ريتشارد بيرل المجلس بأنه: مجموعة من المدنيين المتطوعين الذين يقدمون المشورة لوزارة الدفاع. ومن الأعضاء البارزين في هذا المجلس: هنري كيسنجر، وزير الخارجية الأسبق، وجيمس شلنجر وزير الدفاع الأسبق، ونيوت غنغرنيتش رئيس مجلس الأمن القومي الأسبق.

أُسس هذا المجلس في عام ١٩٨٥م، وهو لا يقدم وجهة نظر محددة لوزارة الدفاع؛ بل يرتب لقاءات بين أعضائه ووزير الدفاع ليستمع منهم إلىٰ (آراء مهمة) تتعلق بسياسة الدفاع.

وهناك عدة منابر إعلامية ساهمت بشكل كبير في نشر أفكار «المحافظين الجدد»، وهيأت الأجواء لقبول المجتمع الأمريكي لطروحاتهم، ومن ثَمَّ قبول النزول تحت زعاماتهم وقيادتهم، وتأتي شبكة (فوكس) التلفزيونية في مقدمة المنابر النشطة في الترويج لمشروعات المحافظين الجدد الفكرية والعلمية، وقد سعوا من خلال منابر أخرىٰ لشغل مساحة كبيرة من خريطة الأفكار المسيطرة علىٰ المشاهد السياسية والعسكرية والثقافية، منها دوريات (ناشيونال ريفيو) و (كومنتاري) و(نيوز يبابليك) وأسبوعية (ويكلي مجازين)؛ إضافة إلىٰ عدد من صفحات التحرير في الصحف الشهيرة الأخرىٰ، وهناك صحف يومية كبرىٰ مثل: (وول ستريت جورنال) تسير في ركاب المحافظين الجدد بلا تحفظ.

وإلىٰ جانب ذلك؛ فإن مؤسسات الأبحاث ـ التي أشرنا إليها سابقاً ـ تنسق مع ما يعرف بـ (مجموعات التفكير)؛ مثل: مجموعة (هيودسن أنيستون) و(هيريتاج فونديشن) و(أمريكان إنترابرايز). وهناك مجهودات مساندة من العائلات الإعلامية التي يدين أصحابها باليهودية ويتعاونون أو يباشرون العمل مع «المحافظين الجدد»؛ ومن أبرز هؤلاء (روبرت ميردوخ) الملياردير الإعلامي الشهير، و (إيرفنغ كريستول)، وابنه (وليام) الذي يحرر مجلة (ويكلي مجازين)، و(نورمان بودهورتز)، وابنه الموظف السابق في إدارة ريغان و(ريتشارد بايبس) وابنه دانيال، وهؤلاء جميعاً من أصحاب الثقافات الواسعة المتنوعة الذين لا يقنعون بالانعزالية؛ بل يدعون ـ كغيرهم من المحافظين الجدد ـ إلىٰ العالمية، ويروّجون لدور أمريكي متقدم في أنحاء العالم يكونون هم في طليعته.

الأهداف والمشروعات الاستراتيجية للمحافظين الجدد:

مشروع «الإمبراطورية الأمريكية العالمية»، هي منتهىٰ حلم المحافظين اليهود الجدد وحلفائهم من الإنجيليين اليمنيين، وقد تمكنت منهم فكرة تطبيق هذا الحلم بعد سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩م، وما أعقبه من سقوط الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩٢م، وبين هذين الحدثين وقعت حرب الخليج الثانية التي أعطت للأمريكيين فرصة للظهور بمظهر (الجبار الطيب) منقذ المستضعفين ومؤدب الطغاة، وأعطتهم فرصة أخرىٰ لتجريب آخر ما توصلت إليه تقنية «الدمار الديمقراطي»، وأعطتهم كذلك الفرصة لإثبات أن حوار الفتك المسلح هو أقدر الدبلوماسيات علىٰ الإقناع، وعلىٰ هذا فالقرن الأمريكي الذي يتحدث عنه المحافظون الجدد؛ قد بدأ الدخول فيه عملياً قبل بدء القرن بعقد كامل؛ عندما تمت هزيمة العراق في حرب الخليج الثانية. و مما يدل علىٰ أن الأمريكيين تعاملوا مع ذلك الواقع بهذه النظرة؛ أن جورج بوش الأب قد أعلن في أعقاب حرب «تحرير» الكويت عن بدء ما يُسمَّىٰ (النظام العالمي الجديد). وقد شمَّر لبدء تفعيل ذلك النظام في مدته الرئاسية الثانية التي ظن أن الفوز بها مضمون لانتصاره في هذه الحرب، ولكن تلك المدة لم تأته أصلاً بسبب سقوطه غير المتوقع، والذي سقطت معه صدارة المحافظين التقليديين (النصارىٰ) لصالح المحافظين الجدد (اليهود) الذين لم تواتهم الفرصة للصعود مع بوش الأب، فاتخذوا من عهد كلينتون معبراً للوصول إلىٰ النفوذ في عهد بوش الابن.

ولكن يبقى أن مشروع (الإمبراطورية الأمريكية العالمية) هَمٌّ مشترك بين الفريقين؛ مع احتفاظ كل منهما بأجندته الخاصة. وسأعطي أولاً لمحة مختصرة عن مساعي أقطاب اليمين الديني الإنجيلي لتحقيق وتطبيق مشروع (الإمبراطورية الأمريكية العالمية) دون الإسهاب في ذلك؛ باعتبار أن البحث مركّز على المحافظين الجدد، ثم أنتقل بعد ذلك لاستعراض رؤية هؤلاء المحافظين الجدد لمشروعهم الخاص في ذلك، والذي أطلقوا عليه اسم (مشروع القرن الأمريكي الجديد).

أولاً: اليمين الديني الإنجيلي ومشروع الإمبراطورية الأمريكية:

لليمين الديني الإنجيلي أو (المسيحيون الصهيونيون) مساع حثيثة منذ ما لا يقل عن ثلاثة عقود لفرض الهيمنة الكاملة على الدولة الأمريكية، والوصول من خلال ذلك إلى السيطرة على العالم بخلفيات دينية (توراتية وإنجيلية)، تكلم عليها كثير من الباحثين في البلاد الغربية والعربية، وهي تلك التي تتمحور حول أحلام وأوهام الحمَّى الألفية، وما يرتبط بها من عقائد وأساطير مركزية عند طائفة البروتستانت؛ مثل عودة «مملكة إسرائيل» بعاصمتها الأبدية في القدس، وبحدودها من النيل إلى الفرات، وبمعبدها المقام على أنقاض المسجد الأقصى، وبتلك الحرب المدمرة التي يسمُّونها (هرمجدون)، والتي ستنتهي أو ستبدأ بعودة المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - إلى الأرض مرة أخرى ليحكم العالم مدة ألف عام هي: الألف السعيد.

وعلى ساحة الواقع السياسي؛ بدأ الرئيس الأسبق رونالد ريغان في ربط السياسة الأمريكية بتلك الخلفيات الدينية، ليأتي بعده جورج بوش الأب فيدفع بالأحداث العالمية نحو بداية الصدامات الحضارية والدينية بذريعة تحرير الكويت، حيث دسَّت الولايات المتحدة أنفها بحجة تلك القضية في شؤون المنطقة بشكل مباشر وشبه منفرد، فكثفت من وجودها العسكري في المنطقة، وساقت العرب إلى سياسة الاستسلام الجماعي لدولة اليهود؛ ابتداءً من مؤتمر مدريد عام ١٩٩٢م الذي أعقب الحرب الأمريكية الأولى ضد العراق، ثم عمليات ومفاوضات أوسلو، ووادي عربة، وكامب ديفيد الثانية.

ومع اقتراب عام ٢٠٠٠م؛ بدأ الاتجاه الإنجيلي المسيطر على الحزب الجمهوري يركز على انتزاع القيادة من الحزب الديمقراطي الذي حكم لفترتين رئاسيتين بزعامة بيل كلينتون، وبدأ ذلك الاتجاه في ترتيب استعدادات ضخمة للعودة إلى حكم أمريكا، ومن ثم البدء في استكمال مشروع الإمبراطورية أو (النظام العالمي الجديد) الذي أعلنه بوش الأب دون أن ينفذه.

وعندما توجه العزم نحو تلك العودة؛ فكر ريتشارد تشيني في أن يرشح نفسه لمنصب الرئاسة، ولكنه تردد خوفاً من الملاحقة المالية، وفكر فيه رامسفيلد ولكنه تراجع، ورشح بعضهم كولين باول. المقاتل(النزيه) أثناء حرب الخليج الثانية، والسياسي النافذ عندما كان مساعداً لهنري كيسنجر، والاستراتيجي الماهر عندما كان رئيساً لهيئة الأركان، ولكن «باول» لم يكن راغباً أو قادراً على ذلك الترشيح؛ بسبب كونه من السود الذين لا يُتصور أن يكون أحدهم رئيساً لشعب من البيض، كما أن قدرته على جمع الأموال الانتخابية - للسبب نفسه -

محل شك كبير. ولكن فريق اليمين الإنجيلي حسم أمره، ووزع تلك الكفاءات القوية خلف واجهة ضعيفة اسمها (جورج بوش) الابن[1].

وبدأ الفريق الآخر من المحافظين الجدد في الوقت نفسه يرتب لأجندته مستغلاً الواجهة الضعيفة نفسها، فتكونت جماعة أو فريق عمل ـ كما يقول الصحفي الأمريكي (روبرت نوفاك) ـ تضم كلاً من ريتشارد تشيني، وبول وولفويتز، ودودج فايث، وجيمس ووسلي، و ريتشارد أرميتاج، وفرانك كالوتش، ودونالد رامسفيلد، وهم ـ كما هو ملاحظ ـ خليط من المسيحيين الصهيونيين الإنجيليين والمحافظين الجدد من اليهود، وتولت كوندوليزا رايس سكرتارية هذا الفريق.

وقد بدأ هذا الفريق ورشة عمله في مركز (جيمس بيكر) لدراسات البترول بتكساس، وتوجهوا إلى بيت جورج بوش الأب في ولاية ماين، وأصبح جورج بوش الأب هو راعي تلك المجموعة؛ باعتباره شريك رونالد ريغان الذي كسر إمبراطورية الشر؛ عندما كان نائباً له، وهو الذي خلفه ليؤسس (إمبراطورية الخير) في «نظام عالمي جديد» بدأت فعالياته بحرب الخليج الثانية تحت قيادته، ثم إنه كذلك من الأسر الثرية البترولية التي ازداد ثراؤها في «حرب النفط الأولى» المشهورة بحرب الخليج الثانية؛ لكل هذا فجورج الأب يجمع خيوط الإمبراطورية في يده، ولذلك رآه كل من اليمنيين الدينيين والمحافظين الجدد جديراً بأن يجتمعوا حوله ثم يعبروا فوقه إلى مراكز القيادة والريادة في الولايات المتحدة الأمريكية؛ مستغلين رغبته في استئناف العمل في مشروع الهيمنة الأمريكية التي لم تخرج من رأسه رغم خروج السلطة من يده.

قضى فريق العمل هذا سنة كاملة من التداول في بيت بوش الأب، يجهز لخطة مشروع الإمبراطورية، وتوصل الفريق إلى تقرير نهائي وقَّع عليه ريتشارد تشيني، وأبرز ملامح هذا التقرير ما يلي:

١ ـ الحزب الجمهوري لا بد أن يمسك زمام السلطة من جديد؛ لأنه الحزب صاحب الرؤية الكاملة للقرن القادم.

٢ ـ الرئاسة القادمة ـ بعد كلينتون ـ عليها أن تستغل الفرصة التاريخية التي تتفرد فيها أمريكا بموقع القطب الوحيد في العالم لتمكن لمبادئ أمريكا وسطوتها في العالم.

٣ ـ ينبغي البناء على ما أنجزه ريغان وبوش الأب (الجمهوريين) لاستكمال بناء الإمبراطورية التي وضعا أساسها.

٤ ـ على الإدارة الجمهورية عندما تعود للسلطة أن تمارس دورها في التمكين لمصالح أمريكا بلا أي قيود من أي جهة في العالم.

٥ ـ الولايات المتحدة ـ تحت حكم الجمهوريين ـ من واجبها أن تشاور حلفاءها، ولكن من حقها أن تخالفهم وتتصرف بمفردها.

---

(١) انظر: الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، تأليف محمد حسنين هيكل، دار الشروق.

٦ ـ (الحرب ضد الإرهاب) هي الدعوة التي يمكن توحيد العالم كله حولها، سواء القوىٰ الكبرىٰ أو الصغرىٰ، وتلك الحرب هي أ قدر الدعوات علىٰ حشد العالم خلف أمريكا؛ لأن كل دولة في العالم يمكن أن تصبح معرضة للإرهاب حقيقة أو ادعاءً، والولايات المتحدة من حقها قيادة تلك الحرب من باب الدفاع المشروع عن النفس(١).

وببنود هذا التقرير؛ أصبحت معالم مشروع الإمبراطورية العالمية واضحة، ولكن بقيت إشكالية «البحث عن قائد» هي الثغرة المفتوحة أو الحلقة المفقودة. وحتىٰ صيف عام ١٩٩٨ لم يكن هناك شخص مرشح بصورة جدية ليكون علىٰ رأس الجمهوريين في قيادة أمريكا، ثم ظهر اسم جورج بوش الابن؛ بغير ترتيب سابق، ولا استحقاق لاحق.

ملابسات ظهور بوش الابن:

كانت جهود إعادة الجمهوريين إلىٰ السلطة ـ كما ذكر حسنين هيكل في كتاب (الإمبراطورية) ـ تجري في ردهات بيت جورج بوش الأب قبل أن تجري في أروقة الحزب الجمهوري؛ لأن بوش ظل محاطاً بمجموعته التي تلح عليه في استئناف دوره التاريخي لبناء الإمبراطورية، والتغاضي عن فترة بيل كلينتون باعتبارها فترة استثنائية عابرة، وبدوره قام بوش من خلال مصادره المالية المختلفة بتمويل الجمهوريين الإمبراطوريين وتوفير مظلة رعاية لهم، ولهذا ظلوا مخلصين وتواقين لإعادته شخصياً إلىٰ سدة الحكم. ولكن الدستور الأمريكي يتعارض مع آمالهم في ذلك؛ لأنه لا يسمح بعودة رئيس خرج من السلطة في انتخابات سابقة.

كان جورج الابن أثناء فترة حكم أبيه غارقاً في اللهو واللامبالاة حتىٰ وقعت حادثة فارقة في حياته(٢)، عزم بعدها علىٰ «التوبة» أو (الولادة من جديد) بتعبير الإنجيليين الدينيين، ثم بدأ خطاً جاداً في حياته بترشيح نفسه لولاية تكساس؛ مستغلاً اسم أبيه ونفوذه المالي، وفاز فعلاً برئاسة تلك الولاية.

ومع ظهور علامات (التدين) علىٰ بوش خطر ببال بعض الحالمين بالإمبراطورية أن يرشحوه لانتخابات عام ٢٠٠٠م التي شمر «الألفيون» لاكتساحها، وبدا ترشيح بوش الابن لافتتاح عصر الزعامة الإمبراطورية مغرياً.. ولِمَ لا.. وهو ابن المؤسس الذي وضع حجر المشروع الإمبراطوري بحرب الخليج الثانية؛ بعد أن أزال سلفه ريغان العقبة من طريقه ببرنامج «حرب النجوم» الذي أجهد الاتحاد السوفييتي ثم هدمه؟!

استغل دعاة الإمبراطورية، من صقور اليمين الإنجيلي والمحافظين الجدد، فترة ضعف الحزب الجمهوري الذي غاب عن الحكم ثمانية أعوام باتخاذ مواقع مهمة فيه؛ لا لمجرد إعادته للحكم بل لاستئناف العمل في مشروع الإمبراطورية الأمريكية العالمية، وبدا أن اسم جورج بوش الابن مناسب لعودة الجمهوريين إلىٰ الواجهة

(١) يجب أن نلاحظ هنا أن جورج بوش الأب كان مسؤولاً عن (ملف الإرهاب) أثناء نيابته لرونالد ريغان؛ لخبرته الطويلة في مجال الاستخبارات، حيث عمل رئيساً للاستخبارات المركزية الأمريكية فترة طويلة، وقد كلفه ريغان بالإشراف علىٰ إدارة خاصة لذلك الشأن تحت اسم (مواجهة خطر العصر).

(٢) كان جورج بوش قد ألقي القبض عليه عام ١٩٧٦م وهو يقود سيارته بسرعة متهورة، وهو في حالة سكر شديد، فلما أفاق ووجد نفسه في تلك الحالة المزرية قرر تغيير مجرىٰ حياته.

بتكوين ثنائي يجمع الإنجيليين مع اليهود، وبدأ الجمهوريون من الفريقين يتعاونون لدفع بوش الابن إلى الواجهة بتشجيع من الأب؛ ضامنين أنه في حال فوزه في الانتخابات الألفية سيتخذ منهم المستشارين والمتنفذين في إدارته اعترافاً بجميلهم. وكانت معركة بوش الانتخابية قاسية بالرغم من توافر الإمكانات المادية، فبوش بالكاد كان يملك الحد الأدنى من مؤهلات الرئاسة، أما مؤهلات (الزعامة) فلن يكن يملك منها شيئاً، ولذلك وصل إلى الحكم في انتخابات تشوبها شبهة عدم الشرعية، ولأول مرة في الانتخابات الأمريكية!

كانت تلك الانتخابات - رغم إثارتها للجدل القانوني - تخفي وراءها تنافساً بين يهود ويهود، بعضهم يتغلغل - كما يحدث بشكل تقليدي - في الحزب الديمقراطي الليبرالي صانعاً من (جوزيف ليبرمان) اليهودي الصهيوني نائباً لمرشح الرئاسة (آل جور)[1]، والبعض الآخر يتقدم بقوة نحو دفة الحزب الجمهوري المحافظ بتأثير اليهود الجدد المحافظين، فالحكومة الأمريكية في انتخابات عام ٢٠٠٠م كانت ستسقط في يد اليهود؛ سواء فاز آل جور أو فاز بوش. ولكن جورج بوش تسلم الدفة أخيراً، وصعد إلى كرسي الرئاسة ليقود فريق بناء الإمبراطورية، أو ليقوده ذلك الفريق إلى طريق يريدون الوصول منه إلى غايتين:

أولاهما: سيطرة أمريكا على موارد القوة في العالم، وعلى رأسها البترول المخزون في بطون أراضي الشرق الأوسط «الكبير» (الخليج، قزوين، إيران).

وثانيتهما: إبقاء أمريكا في مركز قيادة العالم لقرن قادم، أو للأبد وحتى (نهاية التاريخ)!

وكانت العربة التي تم اختيارها لقطع الطريق نحو هاتين الغايتين هي (الحرب العالمية ضد الإرهاب) التي توفر غطاء قانونياً و«أخلاقياً» - في نظر الإمبراطوريين - للهدفين المذكورين، وكانت الحقيقة البارزة في انتخابات عام ٢٠٠٠م؛ هي أن الانتخابات الأمريكية وقتها لم يكن الفائز فيها جورج بوش الضعيف، ولكن الفريق الذي جاء به لينفذ المشروع الإمبراطوري تحت واجهته.

كل ما سبق يبدو أنه ينطبق عليه وصف: «التعاون المتبادل» بين الإنجيليين والمحافظين الجدد، ولكن عند مزيد من التأمل؛ يظهر عليه بشكل كبير انطباق وصف «التنافس المتبادل». فكما سبق؛ هناك أجندتان لطرفين بينهما من الندية الدينية والثقافية والتاريخية أكثر مما بينهما من الاتفاق والوفاق الظاهر للعيان؛ إنهما الأجندتان اللتان يمسك بأحدهما نصارى أمريكا البروتستانت المنتسبين للإنجيل، ويمسك بالأخرى يهود أمريكا وإسرائيل المتطلعين لأحلام التوراة. فإذا كان الفريق الأول قد بدأ منذ عام ١٩٩٢م في نسج خيوط مشروع (الإمبراطورية الأمريكية العالمية) بإشراف (ديك تشيني)؛ فإن الفريق الثاني قد بدأ في العام ١٩٩٧م في إنشاء مشروع (القرن الأمريكي الجديد) برئاسة (وليام كريستول) زعيم المحافظين الجدد.

---

(١) آل جور كان نائباً للرئيس السابق بيل كلينتون، وكلينتون مع حزبه الديمقراطي لم يكن منصرفاً عن فكرة (الإمبراطورية)، ولكنه كان يفضل لها أساليب أخرى سياسية واقتصادية، وليست عسكرية أو أمنية كما يفضل المحافظون التقليديون والجدد. أما مشروع (الحرب العالمية على الإرهاب) فكان متفقاً فيه مع الجمهوريين.

فكيف بدأ هذا المشروع؟ وكيف سار؟ وإلىٰ أين وصل؟

ثانياً: المحافظون الجدد ومشروع القرن الأمريكي الجديد:

تأسس هذا المشروع عام ١٩٩٧م تحت رعاية مؤسسة المواطنة، ومولته مؤسسة (برادلي)، وقد ارتبط أيضاً بمؤسسة (أمريكان إنترا برايز)، وهدفه المعلن هو: «تعزيز القيادة الأمريكية للعالم»، يترأس المشروع (وليام كريستول) زعيم المحافظين الجدد، والمدير التنفيذي له هو (جاري شميت) المحافظ الجديد المستميت في الاحتفاء بفكر «ليوشتراوس».

ولهذا المشروع مبادئ وغايات معلنة، صدر بشأنها بيان في ٣ / ٦ / ١٩٩٧م، جاء في ديباجته: «لمواجهة السياستين الخارجية والدفاعية التائهتين خلال القرن المتقدم؛ تظهر أهمية صوغ الظروف قبل بروز الأزمات، ومواجهة الأخطار قبل أن تستفحل، ولتحقيق ذلك يطلب ما يلي:

١ ـ زيادة الإنفاق الدفاعي لتحمل مسؤولياتنا حول العالم.

٢ ـ تعزيز العلاقات مع الحلفاء الديمقراطيين، وتحدي الأنظمة المعادية لمصالح أمريكا وقيمها.

٣ ـ تعزيز الحرية السياسية والاقتصادية حول العالم بنشر الديمقراطية واقتصاد السوق.

٤ ـ فهم الدور الأمريكي المميز، ومسؤوليته تجاه حفظ نظام دولي جديد يفيد أمن أمريكا ورفاهيتها ومبادئها.

وقد وقَّع علىٰ هذا الإعلان ٢٥ شخصية من رموز المحافظين الجدد وصقور البيت الأبيض الحاليين، فإلىٰ جانب بول وولفويتز، وإيليوت أبرامز، ونورمان بودهورتز، ولويس ليبي، وفرانك غافني، ودان كويل ودونالد كاغان، وغيرهم من المحافظين اليهود الجدد؛ وقَّع كل من ديك تشيني، ودونالد رامسفيلد، وجيب بوش[1] من الجمهوريين اليمينيين التقليديين.

القائمون علىٰ هذا المشروع موظفون يعملون داخله متفرغين، ولكن الكبار من هؤلاء الموظفين حصلوا علىٰ إجازات مفتوحة بعد أن احتلوا مواقع في إدارة جورج بوش الابن؛ ليباشروا تنفيذ أفكارهم عملياً.

كان كبار أعضاء المشروع قد وقَّعوا في عام ١٩٩٨م علىٰ رسالة توبيخ للرئيس كلينتون، يلومونه فيها علىٰ أنه لم يشن حرباً شاملة علىٰ العراق عام ١٩٩٨م، ولكنه اكتفىٰ بعدة غارات جوية محدودة وقتها، وأسسوا من يومها لجنة باسم (لجنة تحرير العراق)، وتبنت هذه اللجنة ما يُسمّىٰ (المؤتمر الوطني العراقي) الذي برز أكثر أعضاؤه فيما بعد كسلطة أو مجلس مؤقت للحكم بعد سقوط نظام صدّام.

يوضح الكاتب الأمريكي (جيم لوب) طبيعة (مشروع القرن الأمريكي الجديد) بقوله: «هو تحالف جديد بين المحافظين الجدد والجمهوريين اليمينيين واليمين الإنجيلي»، ويصفه بقوله: «هو آخر صيغة لجماعة متطرفة

(١) جيب بوش، هو شقيق جورج بوش الابن، ويشغل حالياً منصب حاكم ولاية فلوريدا.

يسيطر عليها اليهود من المحافظين الجدد»[١] . وكلام (جيم لوب) يدل على أن (مشروع القرن الأمريكي الجديد) يسيطر عليه اليهود، وإن كان الإنجيليون يتعاونون معهم فيه؛ بجامع أن الجميع أمريكيون.

وقد تولى عشرة من الموقعين على المشروع فيما بعد مناصب في الإدارة الأمريكية، وأغلبيتهم من المدنيين الذين تولوا مناصب عسكرية في وزارة الدفاع! ولم يكن هذا الأمر مصادفة؛ إذ إن الحروب - كما يقول المحافظ الجديد (إليوت كوهين) - أخطر من أن تترك للعسكريين.

ومن الغريب أن رموز المحافظين الجدد الذين صاغوا مبادئ مشروع القرن الأمريكي الجديد، قد بدؤوا نشاطهم بالفعل قبل تأسيس هذا المشروع، فقبل الإعلان عنه بعام كامل؛ أصدر عدد من الأشخاص الذين أصبحوا مؤسسين للمشروع دراسة قدموها لبنيامين نتنياهو عام ١٩٩٦م عندما كان رئيساً لوزراء الكيان الصهيوني، تتحدث عن الطريقة المثلى في التعامل مع الأزمة مع الفلسطينيين في ضوء التوقعات المستقبلية لسبع سنوات مقبلة (تنتهي في عام ٢٠٠٣م)، وكان عنوان تلك الدراسة (انفصال تام: استراتيجية جديدة لتأمين البلاد)، والمقصود بالبلاد بالطبع (إسرائيل)، وقد وضع الدراسة فريق من الاستراتيجيين أنصار (إسرائيل)، وفي مقدمتهم (ريتشارد بيرل) الذي ترأس الفريق المعد للدراسة، إضافة إلى (دوغلاس فايث) الرجل الثالث في وزارة الدفاع الأمريكية اليوم بعد رامسفيلد وولفويتز. وشارك أيضاً في إعدادها (جيمس كولبرت) من المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، و(روبرت لوفنبرج) رئيس معهد الدراسات الاستراتيجية والسياسات المتقدمة بالولايات المتحدة، و(جوناثان نوروب) من معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى.

والدراسة وضعت لتوجيه الحكومة الإسرائيلية لتبني سياسة جديدة تقوم على التخلي عن حصيلة ما مضى من سياسات تتعلق بعملية السلام، وعلى رأسها اتفاق أوسلو، وتدعو إلى تغير طريقة التعامل (الهادئ) مع الفلسطينيين، واعتماد طريقة التصعيد والمطاردة و «الانفصال التام»، مع اقتراح التغيير في تشكيلة القيادة الفلسطينية بما يهمش أو يبعد ياسر عرفات عن التأثير فيها، ولم تقتصر الرسالة على تقديم رؤية في التعامل مع الفلسطنيين، بل دعت (إسرائيل) في ذلك الوقت المبكر إلى التهيؤ للمساعدة في إسقاط نظام الحكم في العراق، ثم بناء تحالف لحصار سوريا، بل دعت الدراسة صراحة إلى رسم خريطة جديدة للشرق الأوسط، وكل ذلك قبل عام كامل من أحداث سبتمبر، وبالتأمل في مكونات دراسة (الانفصال التام) ومقارنتها بما حدث على الساحة الفلسطينية خلال السبع سنوات الماضية؛ يتملكنا الشعور بأن (المحافظين الجدد) يوجهون سياسة الدولة العبرية؛ بمثل ما يوجهون الآن سياسة الدولة الأمريكية.

ثالثاً: المحافظون الجدد ومشروع (الشرق الأوسط الكبير):

مشروع آخر يتعاون فيه صقور البيت الأبيض من قوى اليمين الإنجيلي مع المحافظين الجدد، وهو مشروع (الشرق الأوسط الكبير) الذي سرَّبت الولايات المتحدة نصوصه قبل أن يقدمه بوش رسمياً لمؤتمر قمة دول الثماني الصناعية في شهر يونيو لعام ٢٠٠٤م، وكان هذا التسريب بمثابة بالون اختبار يهدف إلى رصد الآراء

(١) صحيفة الحياة، (١/ ٦/ ٢٠٠٣م).

حوله، وردود الفعل عليه في الدول المعنية به، والتي لم تُستشر رسمياً في روحه أو نصه، والتي أصيبت بسبب أنبائه بحالة ارتباك شديد، بلغ حد الفشل في مجرد عقد قمة لمناقشة القضايا والمواقف المتعلقة به.

والتسمية الجديدة (الشرق الأوسط الكبير) جرىٰ إطلاقها علىٰ منطقة الشرق الأوسط بعد توسيع حدودها ومفهومها؛ لتشمل إلىٰ جانب الدول العربية دولاً إسلامية أخرىٰ، هي: إيران، وتركيا، وباكستان، وأفغانستان؛ إضافة إلىٰ دولة اليهود (إسرائيل) التي ستعطىٰ وضعية خاصة ضمن هذا الكيان الجديد الذي سيمحو مع الزمن مصطلح (الأمة العربية)، وهو المصطلح الذي جرت رعايته حقبة من الزمن ليُمسح به مفهوم الأمة الإسلامية أو العالم الإسلامي، وها هو الأمر يعود مرة أخرىٰ إلىٰ (العالم الإسلامي) ولكن بتلك التسمية الجديدة: (الشرق الأوسط الكبير)؛ لتعفي الولايات المتحدة الأمريكية نفسها والغرب معها من تهمة استهداف (العالم الإسلامي)!

والمشـروع يعتمد علىٰ معلومات وإحصاءات وتحليلات مستمدة من تقريرين للأمم المتحدة لعامي ٢٠٠٢م و ٢٠٠٣م، شاركت في إعدادهما مجموعة من الخبراء العرب، وبناء علىٰ معطيات التقريرين، وضع المشروع ليكون بمثابة (الحل) للمشكلات التي أثارهما التقريران في المجالات المتعددة، وأُسس ذلك المشروع تهدف في جوهرها إلىٰ إدخال «تعديلات» عميقة علىٰ الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية في العالم الإسلامي بتسميته الجديدة، ويمكن توصيف تلك الأسس في أهداف وآليات علىٰ ما يلي:

أولاً: تشجيع فرص (الحكم الصالح)؛ من خلال دعم الانتخابات الحرة، ورفع القيود القانونية، وتطوير الإعلام المستقل، ومكافحة الفساد.

وثانياً: توسيع مجالات التنمية الاقتصادية، وذلك عن طريق دعم المشروعات الصغيرة والمتوسطة والصغيرة؛ من خلال قروض وتسهيلات مالية تقدمها مؤسسات وبنوك للتنمية، ويعمل المشروع أيضاً علىٰ إنشاء منطقة اقتصادية حرة لتحرير اقتصاد السوق.

وثالثاً: بناء مجتمع معرفي؛ من خلال تطوير التعليم وتحديثه.

وقد تبدو هذه الأسس إصلاحية بالفعل؛ لولا ما تخبئه وراءها من أهداف ليست خافية لاحتواء العالم الإسلامي من تلك الجهات الثلاث: السياسية، والاقتصادية، والثقافية، ليتم دمج هذا العالم ضمن مشروع أمركة العالم، ولا أدل علىٰ ذلك من أن الجهة التي عُهد إليها بتنفيذ مشروع (الشرق الأوسط الكبير) هي مؤسسة مشبوهة، ذات تاريخ مثير، رغم قصر هذا التاريخ نسبياً، وهذه المؤسسة هي: (مؤسسة الوقف الوطني الديمقراطي)، ويُطلق عليها أيضاً: (الصندوق الوطني لدعم الديمقراطية)، ومما لا حظناه هنا أن ظل (المحافظين الجدد) غير غائب عن تلك المؤسسة في مرحلتها الراهنة والمقبلة؛ خاصة أن لدولة اليهود (إسرائيل) دوراً كبيراً منتظراً في مشروع (الشرق الأوسط الأكبير) الذي عُهد إلىٰ مؤسسة الوقف الوطني بتنفيذه.

الصندوق الوطني لدعم الديمقراطية ودوره المنتظر:

في خطاب للرئيس الأمريكي أمام (مؤسسة الصندوق الوطني)، أو (مؤسسة الوقف الوطني الديمقراطي)، بتاريخ (٦/ ١١/ ٢٠٠٣م)؛ عهد جورج بوش لتلك المؤسسة بتنفيذ مشروع (الشرق الأوسط الكبير) في خطة طويلة الأمد تمتد حتى عام ٢٠٢٥م. و (مؤسسة الوقف الوطني) تعود بدايتها إلى عهد الرئيس الأمريكي الأسبق (رونالد ريغان)؛ عندما عزم على انتهاج أساليب جديدة لمواجهة المد الشيوعي بعد سلسلة النكسات الأمريكية أمام المعسكر الشيوعي أثناء الحرب الباردة، حتى كادت تلك الحرب أن تُحسم لمصلحة الاتحاد السوفييتي السابق، وبخاصة بعد هزيمة أمريكا في فيتنام التي كان يحكمها نظام شيوعي، وكذلك فضائح المخابرات المركزية (C.I.A) في مختلف البلدان؛ بسبب أساليبها الإجرامية في دعم الانقلابات ضد الحكومات المناهضة للسياسة الأمريكية باسم نشر الديمقراطية، حتى أُشير على الرئيس الأمريكي الأسبق (ليندون جونسون) بإلغاء هذا الجهاز، إلا أنه أصر على مواصلته لمهامه حتى يوجد بديل، واكتفى بفرض رقابة داخلية عليه بعد أن تكرست تهمة خرق المخابرات الأمريكية للقوانين الدولية، بل الأمريكية؛ خاصة بعد صدور تقرير لجنة (روكفلر) الذي كشف عن تفاصيل فضائح المخابرات، وفي الوقت الذي تكشفت فيه فضائح تلك المخابرات؛ تكشف عجزها عن مجابهة المد الشيوعي، وكان لهذا أبلغ الأثر في تقوية مركز الرئيس ريغان أمام منافسه جيمي كارتر الذي سجل الاتحاد السوفييتي السابق في عهده عدة ضربات لأمريكا؛ منها غزوه لأفغانستان واقترابه من مياه الخليج حيث المصالح الكبرى لأمريكا، وكذلك خسارة الأمريكيين لعدد من العملاء في أمريكا اللاتينية؛ مثل نظام (سوموزا) حاكم نيكاراجوا، وانتقال السلطة في روديسيا إلى الأغلبية السوداء.

وفي إجراء شبيه بما يفعله بوش الآن في مشروع (الشرق الأوسط الكبير)؛ أعلن الرئيس ريغان في خطاب له أمام البرلمان البريطاني في (٨/ ٦/ ١٩٨٢م) أن الولايات المتحدة عازمة على مواجهة (إمبراطورية الشر) السوفييتية بأساليب أخرى، وذلك عن طريق دعم أنصار الديمقراطية، ومساعدة الأحزاب والنقابات والصحافة المعارضة في البلدان التي يستهدفها المد الشيوعي.

وفي هذا الإطار جاء تأسيس (الصندوق الوطني لدعم الديمقراطية) بقانون صدر عن الكونجرس عام ١٩٨٣م، وبالرغم من أن الصندوق أخذ شكل النشاط الخاص القائم على التبرعات - كما يظهر من تسميته بصندوق «الوقف» -؛ فإن تمويله كاد ينحصر بالكامل في دعم الحكومة الأمريكية له، ولم يبق من وصفه بـ(الصندوق) إلا كونه مؤسسة أو جمعية لا تهدف للربح.

الغرض الأساس من إنشاء الصندوق هو - بلا موارية - التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وهذا ما لا يتناسب مع أبسط قواعد القانون الدولي، فباسم دعم الديمقراطية يقدم الصندوق الدعم المادي و «التشجيع»

للمنظمات والهيئات والشخصيات النشطة في دعم الأهداف الأمريكية[١]، فالمشروع يتميز بأنه يتعامل مباشرة مع قطاعات شعبية متجاوزاً دور الحكومات. ويرأس مؤسسة الوقف الديمقراطي أكاديمي أمريكي هو (كارل جريشمان).

وكان الرئيس الأمريكي جورج بوش قد أطلق مبادرة (الشرق الأوسط الكبير) في خطاب ألقاه في مقر مؤسسة الوقف الوطني نفسها، وقد عهد في خطابه إلىٰ تلك المؤسسة بأن تنجز مهمة: (إصلاح الشرق الأوسط) في إطار مشروع (الشرق الأوسط الكبير)، وأعلن أنه قرر مضاعفة ميزانية المؤسسة من ٤٠ مليون دولار إلىٰ ٨٠ مليون دولار، وهذه الأموال تنفق مباشرة علىٰ ما ستحدده مؤسسة الوقف من أنشطة ومجالات تقوم بها عناصر وهيئات «عميلة»، وقد أوضح مدير المؤسسة (كارل جريشمان) كيفية إنفاق الأموال الحكومية التي تتلقاها مؤسسته بقوله: «نحن نعرف كيف نقدم الدعم المناسب للأشخاص والتيارات والمنظمات المناسبة. . . إن الوقف يرسل مساعدته المالية عبر وسائل خاصة»[٢]، وهذه الوسائل الخاصة التي يتحدث عنها كارل جريشمان لا تخضع لطرق المحاسبة التي تخضع لها المنظمات الأخرىٰ؛ لأنها غير حكومية، فقناعات القائمين علىٰ المؤسسة بتقديم الدعم لجهة ما وحجبه عن أخرىٰ لا يخضع لأي مساءلة؛ ولو كانت صادرة عن الكونجرس الأمريكي.

وكانت بداية نشاط مؤسسة الوقف الديمقراطي هي دعم (حركة تضامن) في بولندا، تلك الحركة العمالية التي تزعمها النقابي العمالي (ليخ فاونسا) وقد توسعت (حركة تضامن) بسرعة، نتيجة دعم مؤسسة الوقف الديمقراطية، وكانت نتائج دعمها فادحة الخطورة علىٰ استقرار الشيوعية في دول شرق أوروبا؛ إذ بدأت الحركة مطالبة بالديمقراطية، إلىٰ أن انتهت في آخر المطاف إلىٰ إسقاط الحكم الشيوعي في بولندا، ثم تتابع سقوط الأنظمة الشيوعية كلها بعد عشر سنوات فقط من عمل (مؤسسة الوقف الديمقراطي) انطلاقاً من بولندا، كل ذلك وهي تعمل بديلاً عن المخابرات المركزية الأمريكية.

وتقدم المؤسسة الآن الدعم لما يُسمّىٰ بـ(المعارضة الديمقراطية) أو (الإصلاحيين) في عدد من البلدان؛ منها: إيران، ومصر، وسوريا، ودول عربية وإسلامية أخرىٰ في إطار ما يُسمّىٰ الآن بـ(الشرق الأوسط الكبير)، ويذكر هنا أن أمريكا استطاعت أن تكسب مجموعة الدول الثماني الصناعية إلىٰ جانبها في ذلك المشروع، فبعرضه عليها وموافقتها عليه؛ تكون الولايات المتحدة قد حطمت جزءاً كبيراً من جدار العزلة الذي فرض عليها أثناء حربها ضد أفغانستان والعراق.

أما عن صلة المحافظين الجدد بمؤسسة الوقف الوطني، ومن ثَمَّ مشروع (الشرق الأوسط الكبير)، فإن

(١) قدَّم رئيس مؤسسة الوقف الوطني (كارل جيرشمان) جائزة (المسلم الديمقراطي) لعام ٢٠٠٣م لسعد الدين إبراهيم المعارض المصري الذي أوقف أمام القضاء، وحكم عليه بالحبس لتعامله مع جهات أجنبية.
(٢) الوطن السعودية، العدد (١٢٥٤).

مجلس أمناء هذه المؤسسة يضم في عضويته عدداً من حاملي أفكار المحافظة الجديدة، وعلىٰ رأسهم العمود الفقري للمحافظين الجدد: (فرانسيس فوكوياما) صاحب أطروحة (نهاية التاريخ)، و (ما يكل نوفاك) مدير الدراسات السياسية والاجتماعية في معهد (أمريكان إنترابرايز) التابع للمحافظين الجدد، و(مايكل) هو المنظِّر الأول لهؤلاء المحافظين.

استراتيجية غائبة.. ومواجهة واجبة:

إذا لم يكن بوسع الباحث، أو هذا التقرير الذي يشارك فيه، أن يتناول - ولو بإجمال - خطوط مواجهة استراتيجية مضادة لأفكار وبرامج ومشروعات التجمع اليهودي المسمّىٰ بـ «المحافظين الجدد»؛ فلا أقل من تسجيل خلاصة بحثية مفادها: أن هناك غياباً مذهلاً، وفراغاً كبيراً في مجرد التوجه النظري نحو ذلك المطلب المهم؛ فضلاً عن ترتيب خطوات عملية فيه. فمع أن مشروعات وبرامج المحافظين الجدد تتركز أكثر نحو عالمنا العربي والإسلامي، ورغم أنها تنتقل من إنجاز إلىٰ إنجاز؛ فإننا نرىٰ في الجانب المقابل تشاغلاً وتثاقلاً حتىٰ عن مجرد التعرف علىٰ أبعاد تلك المشروعات وخلفياتها وتداعياتها.

وفي سبيل سدِّ ثغرة في الجدار المواجه لهذا التيار؛ أحاول وضع بعض المعالم التي يمكن أن تساهم في إيجاد رؤية مستقبلية، نرجو أن يتفرغ لها بعض المفكرين والباحثين لكيفية التعامل مع ذلك الملف الجديد المفروض علىٰ الأمة أن تتعامل معه في ظرفها الراهن، وربما في ظروف قادمة إذا ما قُدر لذلك التجمع اليهودي أن يحكم الولايات المتحدة، أو يشارك في حكمها لمدة أربع سنوات أخرىٰ قادمة - هي فترة رئاسية ثانية لبوش - قد تكون كافية لتبلور تيار يهودي جديد باسم (الديمقراطيون الجدد)!

وسوف أرتب تلك المعالم على حسب ترتيب عناوين فقرات هذا البحث في النقاط التالية:

أولاً: معرفة طبيعة هذا التجمع مهمة في فهم خلفياته الدينية والتاريخية، ومنطلقاته الفلسفية والفكرية، ومن المهم في هذا الإطار أن نعيد التذكير بأن جُل أعضاء هذا التيار - إن لم يكونوا كلهم - من اليهود، وهذا أمر لا يمكن أن يأتي بالمصادفة، وأقل دلالاته أنه يشير إلىٰ أن أجندة ذلك التيار في مراميها البعيدة دينية يهودية قبل أن تكون قومية أمريكية، وهذا يتطلب الربط الوثيق بين منطلقات الفكر الصهيوني اليهودي الذي خبرناه وعايشناه في منطقتنا العربية والإسلامية، وبين منطلقات ذلك الفكر اليهودي القادم من أقصىٰ الغرب؛ تلك المنطلقات التي لا يمكن عزلها عن خلفياتها الاعتقادية اليهودية مهما تكاثرت الادعاءات عن علمانية أو ليبرالية، أو حتىٰ إلحاد، بعض رموز ذلك التيار.

ثانياً: اعتماد هذا التيار لمبدأ منطق القوة قبل قوة المنطق؛ يساعد علىٰ استشراف مواقفهم من القضايا المتعلقة بالأمة الإسلامية؛ باعتبارها المرشحة لمرتبة العداء الأول بسبب تراكمات تاريخية، وعقد عنصرية، وتناقضات عقدية، وهذا يستتبع استبعاد ما قد يسوغ مع غير هذا التيار من طروحات ترمي للتقارب والتفاهم والحوار.

ثالثاً: اقتران مساعي ذلك التيار العقدي اليهودي مع تيار عقدي آخر هو اليمين الإنجيلي النصراني، وتحالف الاثنين بجامع الوصف المعلن عنهما، وهو الانتماء للفكر الصهيوني؛ يفرض ضرورة استقصاء تلك العلاقة في جوانبها النظرية والعملية، حيث يحتاج الأمر في هذا الصدد إلىٰ مزيد من الرصد العلمي والمراقبة العملية، لظاهرة (الإخوة الأعداء) التي طرأت علىٰ علاقة الندَّين المتباغضين علىٰ مر التاريخ، وهما: اليهود والنصارىٰ، فلا يزال تفكيك هذه العلاقة الجديدة، ورصد تحولاتها وتطورها؛ يحتاج إلىٰ جهد أكبر من مراكز البحث والمعاهد الأكاديمية في العالم الإسلامي.

رابعاً: استناد فلسفة هذا التجمع إلىٰ تقديس (القيم الديمقراطية) ينبغي أن يُفضح؛ علىٰ اعتبار أن ذلك التقديس لا يراد به نشر مفردات تلك (القيم) من التعددية واحترام «الآخر» واحترام الحريات وحقوق الإنسان.. إلخ، ولكن يُراد به التعامل بتلك المفردات داخل المنظومة الغربية؛ دون أدنىٰ احترام لها في مجتمعات العالم النامي الذي يمثل العالم الإسلامي أغلبيته، وكما شهدت بذلك فضائح وقائع التعذيب في السجون العراقية، وكما تشهد بذلك مخططات وخطوات الأمريكيين فيما قطعوه من أشواط برامجهم في كل من العراق وأفغانستان.

خامساً: فك الارتباط الطارئ بين الصهيونيتين (اليهودية والنصرانية) أمر ممكن، إذا ما تم تسليط الضوء الساطع علىٰ جوهر الخلاف بينهما فيما يتعلق بأصول الاعتقاد لدىٰ الطائفتين في العديد من مسائل الألوهية، فالخلاف لا يزال جذرياً بين أمة تعبد عيسىٰ - عليه السلام - وتُؤلِّهه، وبين أمة تلعنه وأمه وتكفرهما، فالترابط والتقارب بين طائفتين هذا شأنهما قائم علىٰ شفا جرف هار من التناقض، يحتاج فقط إلىٰ من يكشف الستر الرقيق عن شناعة وفظاعة ما تحته.

سادساً: (الأمن القومي) رباط آخر بين الصهيونيتين، وفك هذا الارتباط ربما يكون أسهل من سابقه، وذلك عندما يتم إبراز الحقيقة الغائبة عن خطورة اليهود علىٰ الأمن القومي للأمريكيين إعلامياً وعملياً؛ أما إعلامياً فعن طريق إبراز خيانات وجنايات اليهود عبر التاريخ علىٰ الأوطان التي توفر لهم المأوىٰ والمثوىٰ. وأما عملياً فإقناع الأمريكيين - وغيرهم - أنهم سيدفعون من أمنهم القومي ثمن الانصياع لمؤامرات ومخططات اليهود.

سابعاً: نظرة المحافظين الجدد إلىٰ السلام علىٰ أنه (شيء غير طبيعي) وأن الحروب هي الأصل؛ تجعل انتظار الشر منهم هو الأصل، وتفسر مرامي النظريات التي تبنوها من (صراع الحضارات) و (نهاية التاريخ)، وتؤكد أن شعار (استمرار الهجوم) الذي يتبنوه ليس ترتيباً تكتكياً تفرضه ضرورات المرحلة؛ بقدر ما هو خيار استراتيجي يفرض علىٰ المسلمين ضرورة الاستعداد الدائم لمواجهة سياسة الاستعداء المستمر.

ثامناً: المواقف المعلنة للمحافظين الجدد فيما يتعلق بقضايا ما يُسمَّىٰ بـ (الإرهاب) تؤكد علىٰ إصرارهم

على ربط الإرهاب بالإسلام؛ طمعاً في أن ينسى الناس مع الأيام اسم الإسلام ولا يتكلمون إلا عن الإرهاب، وكذلك فإن تبنيهم لعولمة الحرب الأمنية على «الإرهاب»؛ تمثل غزوة أحزاب جديدة ولكنها عالمية، ينتصب اليهود فيها لمهمة تخريب الأحزاب واستنفار الأعداء على المسلمين، وهذا وذاك يفرضان بإلحاح تحرير مصطلح (الإرهاب) قانونياً وعرفياً، وعدم الإذعان لتعريف الأمريكيين وتحريفهم له؛ لأن استمرار التراخي في استعمال هذا المصطلح وترديده - حتى من بعض الإسلاميين - سيضفي عليه تطبيعاً في الألسن والمسامع؛ بما قد يسوِّغ مستقبلاً جعله مرادفاً لكل جهاد مشروع.

تاسعاً: الرموز المشهورة للمحافظين الجدد؛ هم أشخاص معروفون بأسمائهم ومناصبهم وأماكن نشاطهم، وجلهم من أصحاب التاريخ المنشور، ففضح تلك الرموز، وفتح ملفات خاصة بكل منهم؛ يدخل في عداد الإعداد الواجب للتصدي للعدو المجاهر بالعداوة، وإذا كانت وسائل الإعلام العربية والإسلامية تعيد وتزيد في التعريف بأعداء الأمس التاريخيين، فأعداء اليوم الناشطين أَوْلى بالتقصد والترصد حتى ينكشفوا وينكفوا.

عاشراً: المؤسسات ومواقع النفوذ التي تنطلق منها فعاليات ومشروعات المحافظين الجدد؛ جهد بشري قابل للتكرار والاقتباس، والجوانب العملية فيه يمكن الاستفادة منها في محاكاة نظيفة لأهداف شريفة، ومن أمثلة ذلك (مراكز التفكير)، فأن يؤسس «ليوشتراوس» لتياره بمئة من حملة الدكتوراه، يحملون فكره وفلسفته، ويتعاونون على نشرها وتفعليها؛ شيء أثبت أثره وآتى أكله، وأن يضم معهد (إنترا برايز) التابع لهم نحو ٥٠ باحثاً متفرغاً ومئة باحث متعاون؛ يدل على أن قضايا الفكر تحتاج إلى مفكرين، وتفريغ الذهن لها يحتاج إلى متفرغين، والتعاون على إنضاجها وتفعيلها يحتاج إلى متعاونين، وقس على ذلك كل الأنشطة التي أوجدت ظاهرة (المحافظين الجدد)، والتي يمكن نقل التجربة من بعضها لتخدم قضايا الخير والهداية بدلاً من برامج الشر والغواية.

حادي عشر: حمل المحافظون الجدد - ولا يزالون يحملون - سلاح الإعلام، حيث شقُّوا به غمار كثير من معاركهم، وأهمها معركة التحريض التي يتقنها اليهود، وإذا كان اليهود يحرِّضون على أعدائهم، ويحركون أنصارهم وأصدقاءهم بهذا الإعلام؛ فإنهم لم يصلوا إلى نتائج إيجابية في ذلك إلا بعد أن أعطوا هذا القطاع حقه من الاهتمام عن طريق الاستثمار في الإعلام؛ ذلك النشاط الذي يمثل سلاحاً ذا حدين، ففيه يستثمرون وبه يحاربون، ونظن أن هذين السلاحين يستطيع قطاع من المسلمين أن يتفرغوا للحرب بهما.

ثاني عشر: المحافظون الجدد - وبخاصة في مرحلتهم الأخيرة - جعلوا من تجمعهم العضوي شيئاً منتجاً في ظرف زمني قياسي؛ بينما نجد جماعات إسلامية لها تجمعات عضوية، استمرت أضعاف عمر التجربة المثيرة والثرية لهؤلاء المحافظين الجدد، ومع ذلك فإنهم لم يحققوا - أعني أولئك الإسلاميين - بعض الأهداف

المحلية أو الإقليمية، في حين يجنح هؤلاء اليهود إلىٰ العالمية؛ بعد أن نجحوا في أكثر أهدافهم المحلية، والدرس المستفاد هنا: أن الكيانات العضوية لا تغني تجمعاتها شيئاً لمجرد أنها تجمعات؛ ما لم تجتمع علىٰ برامج واستراتيجيات، لا مجرد أفكار ونظريات.

ثالث عشر: الاستفادة من المجموعات المالية الثرية، والتغلغل فيما يناسب من المناصب الرسمية؛ يكسب دفعاً قوياً يخدم الأفكار، ويدعم المشاريع. ومشروع المحافظين الجدد قام - بعد تبلور الفكرة وتحولها إلىٰ برامج - علىٰ مساندة المال والجاه، صحيح أن هاتين الدعامتين يطلبهما اليهود في الغالب لذاتهما، ولكن أصحاب مشروعات ومناهج الخير يسخرون المال والجاه ولا يسمحون بأن يُسخَّروا لهما.

رابع عشر: الأهداف المرحلية العاجلة لا تغني عن الأهداف الاستراتيجية الآجلة، فالأخيرة لا يمكن التوصل إليها إلا بالأولىٰ، وأما اختصار الخطوات، واختزال الأهداف، والقفز فوق المراحل؛ فإنه يذهب بثمرة ما أنجز في العاجل، ويضيع فرص الوصول للآجل، وقد درج العرب والمسلمون بوجه عام، والإسلاميون بوجه خاص، علىٰ الانهماك في مشكلات الحاضر منشغلين بها عن معضلات المستقبل. والواقع الذي يعيشه العرب والمسلمون - والإسلاميون أيضاً - في مرحلتهم الراهنة؛ يدل علىٰ أنهم قد وجدوا أنفسهم - فجأة - أمام معطيات إقليمية وعالمية لم يتم التخطيط لمواجهتها سابقاً؛ مع أن الكثيرين توقعوا وقعوعها لاحقاً. ولعل تلك المعطيات الجديدة لا تسمح بأن تكرر معها الأساليب القديمة.

خامس عشر: مشروع القرن الأمريكي الجديد، وكذلك مشروع الإمبراطورية الأمريكية؛ انطلقا قبل بدايات القرن الحادي والعشرين للميلاد؛ انسجاماً مع استقبال حقبة زمنية جديدة؛ بينما لم يُطلق مشروع إسلامي مماثل قبيل بداية القرن الهجري الحالي. والآن وقد انقضىٰ من القرن الهجري ربعه الأول دون وضع تصورات - من أي جهة كانت - لمعالم المستقبل الإسلامي؛ فقد آن الأوان لأن يُنظر في ذلك نظرة واقعية وجماعية؛ في ظل مستجدات تحتم علىٰ المسلمين أن يخرجوا من أسر تصورات إقليمية ووقتية للعمل الإسلامي وضعتها بعض الجماعات منذ عقود طويلة، ووفق معطيات قديمة.

سادس عشر: مشروع الإمبراطورية الأمريكية العالمية القائم علىٰ التعاون بين الصهيونيتين؛ هو التحدي الأكبر لمشروع «العالمية الإسلامية» الذي ضمنته أكثر الحركات الإسلامية برامجها، ومع أن مشروع العالمية الإسلامية لايزال يحبو رغم بلوغه من الكبر عتياً؛ بسبب عدم أو ندر ة التخطيط المستقبلي؛ فإن مشروع العالمية الذي تتبناه الأصوليتان (اليهودية والنصرانية) يسابق الزمن للتحقيق والتطبيق، وهذا قد ضاعف علىٰ المسلمين - بكل طبقاتهم وأطيافهم - المسؤولية، وأضاف إلىٰ عبء بناء الصرح الإسلامي لخير البشرية مسؤولية أخرىٰ، وهي عرقلة المشروع الديني الصهيوني ذي الصبغتين (اليهودية والنصرانية)، وهذا يتطلب جهداً إسلامياً جماعياً عالمياً، ويحتاج إلىٰ عكوف مئات الأدمغة في عشرات المؤسسات للوصول إلىٰ رؤىٰ واضحة لخطوات ثابتة في هذا السبيل.

سابع عشر: تصورات اليهود عن المستقبل الديني للعالم ليست غائبة عن مشروعات المحافظين الجدد، مثلما هو الأمر عند تيار اليمين الإنجيلي الحاكم في الولايات المتحدة، فالتركيز على الشرق الأوسط للانطلاق منه إلى بقية العالم، وإكساب الصراع مع المسلمين صبغة دينية من خلال استهداف الرمز الإسلامي أرضاً وأمة ومقدسات ومقدرات، واقتران ذلك كله باستعمال القوة؛ كل ذلك يرشح إلى تحول الصراع بيننا وبينهم، بل بينهم وبين بقية شعوب العالم، إلى الصفة الدينية الصريحة، وهذا بالضبط ما قصدته إحدى طروحاتهم الشهيرة التي تبنوها، وهي أطروحة (صراع الحضارات)، ومن هنا فإن التغاضي عن ذلك، والإصرار على الاكتفاء بلغة «الحوار» في مواجهة لغة الحديد والنار؛ تنبغي مراجعته طويلاً.

ثامن عشر: ظاهرة (الانتظار) أصبحت شبه ملغاة في تعامل الصهيونيتين (التوراتية والإنجيلية)؛ مع يتعلق بتصورات المستقبل الديني للعالم، بل حلَّ محل ذلك ما يمكن أن يُسمّى (صناعة المستقبل)، وبالرغم من أن هذا يمثل تجديفاً وهرطقة وخرافة في التعامل مع الغيب؛ إلا أن نقيض ذلك من الاكتفاء بـ (الانتظار الغيبي) على الجانب الإسلامي؛ يمكن أن يكون شكلاً من أشكال التواكل وقلة الإيجابية في تحويل أخبار المستقبل إلى طاقة فاعلة؛ مثلما كان شأن «الصدر الأول» الذين انطلقوا بأخبار الفتوحات والبشريات إلى أصقاع الأرض ليفتحوها ويعمروها في عالم الشهادة؛ بدلاً من تركها حتى تخرج من عالم الغيب.

تاسع عشر: صراحة التحالف الصهيوني الثنائي في اعتماد القوة للوصول إلى أهداف بعينها؛ يتطلب صراحة مماثلة ومعلنة من الجانب الإسلامي؛ في الوصول إلى بعض الأهداف التي يستحيل أن يتم الوصول إليها إلا باعتماد القوة التي أُمر المسلمون بإعدادها في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [**الأنفال**: ٦٠]، فتحرير الأوطان، والتصدي للعدوان، والتقليل من هيمنة الطغيان؛ يتطلب أن يكون «خيار القوة» إحدى الخيارات الإسلامية التي تتخصص فيها فئة من الأمة؛ لا على مستوى الجيوش (المعطلة) فحسب، بل على مستوى الطوائف الراغبة في الجهاد والاستشهاد؛ شرط أن يسير ذلك وفق مشروع ذي مشروعية دينية متفق عليها، وإمكانيات واقعية مسخرة لها.

وأخيراً: فإن سرعة ارتفاع المشروع الصهيوني العالمي المشترك نحو القمة؛ يمكن أن يتحول إلى سرعة اندفاع نحو القاع، وذلك إذا ما جرى مشروع المواجهة الإسلامية على محورين: محور الحد من سرعة صعوده؛ بالعمل قدر الإمكان على تعطيلها وعرقلتها. والثاني: محور التسريع في وتيرة توحيد جهد الأمة من الناحية العملية؛ بعد التقريب والتكامل بين برامج العاملين فيها منهجياً ونظرياً.